الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

القيم الأخلاقية في شعر حسان بن ثابت قصيدة " بطيبة رسم " أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتين:
* فريدة حلاوة
* زينب كعوش

إشراف الأستاذ: رشيد سلطاني

السنة الجامعية: 2014/2013

الشكر والعرفان

« رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين».

سورة النمل الآية 19.

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل " **سلطاني رشيد**" المشرف على هذه المذكرة لما بدله من جهد وما قدمه من توجيهات وانتقادات سديدة ونصح وإرشاد وأسأل الله أن يجازيه خيرا وله منا فائق التقدير، ــ كما نتقدم بالشكر لإدارة المعهد آداب ولغات.

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذه المذكرة.

تعد الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالخصال الحميدة مبدأ جوهريا من مبادئ الإسلام وتعاليمه، فقد أحاط الإسلام المجتمع بمجموعة من القيم الخلقية، ووضع للأخلاق قواعد يتم على أساساها تربية النفس، وتهذيبها، منها: القناعة، التوكل على الله الصبر، التقوى، الصدق، الأمانة ، والوفاء، والحياء، والسخاء...، كما أنه ذم النقائص الخلقية التي ينزلق إليها ذوو النفوس الضعيفة مثل: الحسد، الكذب، التكبر، الحقد، سوء الضن بالغير...

وسبب اختيارنا لهذا الموضوع هو إعجابنا الشديد به، الشيء الذي أثار فينا الفضول لمعرفة القيم الأخلاقية التي يتحلى بها الإنسان في العصرين: الجاهلي والإسلامي بالإضافة إلى معرفة حياة الإنسان في هذين العصرين التي كانت مليئة بالخبايا وتحمل في طياتها الجديد، ولهذا ارتأينا طرح سؤال منهجي يتمثل في: إلى أي مدى كانت القصيدة الإسلامية لحسان بن ثابت مرآة عاكسة للأخلاق التي نادى بها الإسلام؟ وكيف تم تصوير هذه القيم في قصيدة "بطيبة رسم" للرسول؟ وقد تفرعت عن هذه الإشكالية الأساسية إشكاليات أخرى لها صلة مباشرة بها، وهي: ما هي أهم القيم الخلقية في العصر الجاهلي؟ كيف صورها الشعر الجاهلي عموما، وشعر حسان خصوصا؟ وما هي أهم القيم الخلقية في عصر صدر الإسلام؟ وكيف صورها شعراء ذلك العصر عموما، وفي شعر حسان خصوصا؟

أما فيما يخص المنهج الذي اتبعناه في بحثنا هذا فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يتمثل في وصف القيم الأخلاقية في المجتمع الجاهلي، والمجتمع الإسلامي، أما التحليلي فيتمثل في تحليل القيم الأخلاقية.

وقد اعتمدنا على خطة منهجية تمثلت في: مقدمة، وفصلين: نظري، وآخر تطبيقي أما النظري فقد تطرقنا فيه إلى خمسة مباحث تضم مجموعة من التعاريف تتمثل في: القيمة من الناحية اللغوية والاصطلاحية، والأخلاق لغة واصطلاحا، ثم الجاهلية في اللغة

والاصطلاح وأخيرا الإسلام لغة واصطلاحا، ثم حسان بن ثابت: حياته وشعره فتناولنا فيه نبذة عن حياته، ديوانه، الأغراض الشعرية فيه ثم أسلوبه الشعري، أما الفصل الثاني الذي يحمل عنوان القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي والإسلامي فيحتوي على ثلاثة مباحث: الأول بعنوان القيم الأخلاقية في الجاهلية، والثاني القيم الأخلاقية في قصيدة "بطيبة رسم" للرسول ومعهد، وأخيرا خاتمته التي أردنا أن تكون استخلاصا لبعض النتائج.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر والمراجع أهمها: ديوان حسان بن ثابت بالإضافة إلى كتاب شوقي ضيف...

إن هذا البحث كغيره من البحوث قد واجهتنا مجموعة من الصعوبات منها: ضيق الوقت بسبب البحث عن المصادر والمراجع، بالإضافة إلى صعوبة التوفيق بين البحث والدراسة، والانتقال من مكتبة إلى أخرى. لكننا ومع هذا قد تمكنا من تجاوز هذه العتبات بفضل الله ورحمته فاستطعنا إتمام هذه الدراسة، ونحن- مع هذا- لا نرى في أنفسنا وفي علمنا المتواضع إلا طلبة أرادوا أن يجتهدوا ولو بالقليل في هذا البحر الواسع، ونحن لم نقدم إلا قطرة من قطرات هذا البحر.

وفي الختام نسعى إلى تقديم كل الشكر والتقدير والامتنان الكبير إلى كل من قدم لنا به المساعدة والعون، وبعرفان كبير، واعتراف بالجميل إلى أستاذنا الفاضل والمشرف الأستاذ المحترم "رشيد سلطاني" الذي تول كامل المسؤولية للإشراف علينا في إخلاص ووفاء ودون تعب منه.

ونختم كلامنا بالحديث المصطفى خير الأنام صلى الله عليه وسلم الذي قال:« إن أول ما خلق الله القلم فقال: أكتب، فقال ربي وما أكتب؟ قال أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة».

1 -القيمة:

أ -لغة:

القيمة في اللغة واحدة القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء والقيمة ثمن شيء بالتقويم، نقول تقاوموه فيما بينهم وإذا إنقاذ الشيء واستمرت طريقة فقد استقام لوجهه"(1).

و" القيم : مصدر كالصغر والكبر إلا أنه يقل قوم مثل قوله تعالى: << لا يبغون عنها حولا >> لأن قيما مثل قولك قام قيما وقام وكان في الأصل قوم أو قوم، فصار قام فاعتل قيم، وأما جول فهو على أنه جار على غير فعل، وقال الزجاج: قيما مصدر كالصغر والكبرياء مستقيم وكذلك دين قويم وقوام وقويم .

وأنشد ابن بري لكعب بن زهير :

حِينَ جُرْتم عن الهُدَى بأَسْيافهم *** حتّى اسْتَقَمْتُمْ على القِيَمْ (2)

ب -اصطلاحا:

لا يكتب لأي عمل في هذا الوجود الخلود والاستمرارية إلا إذا حمل في طياته قيمة ميزته عن غيرها من الأعمال الأخرى فنحن عندما نحكم على أي عمل يجب أن نقيمه ولا يتأتى ذلك إلا من خلال نقده بإبراز ميزاته وتوضيح عيوبه، وبالتالي فهو تغلغل في عمق العمل" أيا كان : قصيدة، أو قصة أو رسالة أو مقالة (...) إلى غير ذلك من أنواع الأدب ثم يسأل نفسه: ما قيمه هذا أو ذاك باعتباره عملا أدبيا ؟ وما يسرقونه وحماله؟ وما الذي خلع عليه صفة البقاء والدوام " (3) إلى آخر فمثلا نجد أن **أفلاطون** قد ربطها بالأخلاق فحسبه لا يحمل أي عمل قيمه ما لم يرتبط بالجانب الأخلاقي كالفضيلة مثلا، وقيمة

---

(1) أبو الفضل ، جمال الدين بن منظور: لسان العرب، تح : خالد رشيد، ج11، بيروت، لبنان، ط1، 1427هــ 2006، ص 326.

(2) المرجع نفسه ، ص 328.

(3) عبد العزيز، عتيق : في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، د ت، ص 277

الجمال حسب سانتيانا مرتبط بالحق، والخير، والجمال، وقد عالج موكاروفسكي مشكلة القيمة الجمالية من ....

– فلسفة الجمال الماركسي " لقد طرح الفكر النقدي التقليدي فكرة القيمة الجمالية المطلقة بوصفها إحدى القيم التي يطمح العمل الفني إلى تحقيقها (...) وهي بذلك قيمة قائمة خارج أي عمل فني وسابقة عليه ولها وجودها المطلق، وهي بوصفها قيمة مطلقة فإنها لا تتحقق قط في عمل فني بل تظل هدفا تسعى إليه كل الأعمال الفنية، ومعيار هذه القيمة هو ذاتها لأنها هي المثال الذي ينبغي أن يقتدى به" [(1)] ولذلك نجد أن الرسام مثلا في لوحته يضع بصمته الخاصة على العمل التي فيها نوع من الخيال الخصب الذي يرفع العمل إلى مستوى تحليله من طرف الفيلسوف، في حين يربط البعض قيمه أي عمل بما يتركه من انطباع داخلي أو فيما يتركه هذا العمل من لذة ونشوة التي تمثل هدفه الأسمى في حين هناك من يربطه بالقيمة الإنسانية أما في الوطن العربي، فقد ارتبط مفهوم القيمة بالاتجاه الحسي والمتمثلة أساسا في الصنعة اللفظية حيث يقول جبران خليل جبران: " الشاعر مخلوق غريب ذو أعين ثلاثة ، معنوية ترى في الطبيعة ما لا تراه العيون وأذن باطنية تسمع من همس الأيام، والليالي ما لا تليه الأذن، ينظر الشاعر إلى وردة ذابلة فيرضى فيها مأساة الدهور، ويشاهد طفلا راكبا وراء الفراشة فيرى فيه أسرار الكون ويسير في العقل فيرى ويسمع أغاني البلابل والشحارير وليس هناك شعارير ولا بلابل فهذه اللغة في حد ذاتها تحمل قيمه لأنها تميزت عن الكلام العادي بالإضافة إلى إحالتها إلى التأمل العقلي الذي له فضاء واسع يخترق الواقع وينطلق منه ليكسيه أحلى حلة مما يجعلنا نحب عالم الكلمات الساحر ونرجوا تحقيقه على أرضية الواقع والذي هو سعي الرسام في لوحته والمهندس في هندسته والبستاني في حديقته، لكن هذا لا ينفي ارتباط القيمة بالأخلاق وإلا لما كان المجتمع قد تقبلها " والواقع أن كل بحث في الجمال يرتبط جوهريا بفكرة القيمة لأن الجمال أصلا قيمة من القيم الكلية الثلاث مع الحق والغير

---

(1) طراد الكبيس: مدخل في النقد الأدبي، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، د ط، 2007 ، ص: 92.

(...)[1] التي حاول الوعي الشعري العربي أن يجعلها ما به من أجه يتأسس الإنسان الجمالي بوصفه ذات عارفه معروفة تعرف ذاتها بذاتها وبعالمها. [2]

---

(1) عمر بوشموخة: الإبداع في الفن الأدبي ، منشورات أبيك، متيجه، الجزائر، د ط، 2007، ص: 7.

(2) هلال الجهاد: جماليات الشعر العربي – دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، مركز دراسات الوحدة العرية، بيروت، لبنان، ط2007،1 ، ص: 781.

2 -الأخلاق:

أ. لغة:

وردت مادة خلق في العين للخليل بن أحمد الفراهيدي بالمعاني الآتية:

خلق: الخليقة: الخلق والخليقة: الطبيعة والجميع الخلائق وهي نقر في الضفا والخليقة والخلق والخالق: الصانع، خلقت الأديم قدرته، وقد خلق لهذا الأمر فهو خليق له أي جدير به وإنه لخليق لذاك أي شبيهه .امرأة خليقة: ذات جسم وخلق عظيم ورجل خليق أي تم خلقه، والمختلق من كل شيء: ما اعتدل .[1]

والخَلاقْ : النصيب من الحظ الصالح، هذا رجل ليس له خلاقُ أي ليس له رغبة في الخير ولا في الآخرة ولا صلاح في الدين والخلق: الكذب، وخلق الثوب يخلق خلوقة أي بلى وأخلق إخلاقا وثوب أخلاق : ثوب ممزق من جوانبه والأخلق: الأملس وهضبة أو صخرة خلقاء أي مصمتة ، ويقال في الكلام سحبوهم على خلقوات جباههم، وخليقا: الغاز الأعلى: باطنه اخلولق السحاب أي المستوى، الخلوق: من الطيب، وفعله التخليق والتخلق وامرأة خلقاء : رتقاء لأنها مصمتة كالصفاة الخلقاء: يقال منه خلق، يخلق، خلقا. [2]

تناول معجم العين الأخلاق بمعنى ترك الدنيا تطلعا للآخرة وذلك بممارسة الأعمال الصالحة وفعل الخير.

وقد وردت أيضا معجم أساس البلاغة للزمخشري:

خلقق : خلق الخراز الأديم، والخياط الثوب، قدره قبل القطع، واخلق لي هذا الثوب وصخره. خلقاء، ملساء، وخلق الثوب خلوقة، واخلولق وأحلق، وأخلقت الثوب لبسته حتى بلي، وثوب خلق وملادة خلق، وجاء في أخلاق الثياب وخلقانها وخلق القدح: ملسه يكون

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (مادة خلق) ، ص: 438.
(2) المرجع نفسه، ص: 439.

نصيبا أولا فإذا ثري وملس فهو مخلق، وهذا رجل ليس له خلاق أي حظ من الخير وخلقه بالخلوق فتخلق.

ومن المجاز خلق الله الخلق: أوجده على تقدير، أوجبته الحكمة وهو رب الخليقة والخلائق. وامرأة خليقة ذات خلق وجسم ورجل مختلق: حسن الخلقة وامرأة مختلقة ويقال للفرس، ربما أجاد الأحد من الحضر وليس بمختلف. وله خلق حسن وخليقة وهي ما خلق عليه من طبيعته وتخلق بكذا، وخالق الناس ولا تخالفهم وهو خليق لكذا: كأنما خلق له وطبع عليه، وهم خلقاء لذلك، وقد خلق خلاقة وخلق الإفك واختلقه، ويقال للسائل: أخلقت وجهك، وأخلق شبابه ولى وضربه على خلقا جبهته أي على مستواها وسحبوا على خلقوات جباههم. [1]

إن الأخلاق في هذا المعجم تعني التحلي بالفضائل وممارسة أعمال الخير وترك الرذائل والمنكرات.

كما وردت في لسان العرب مادة " خلق" و"الأخلاق" بمعنى:

خلق الله تعالى وتقدس، الخالق والخلاق وفي التنزيل هو الله الخالق البارئ المصور[2].

وهي من أسماء الله عز وجل وصفاته، الخلق في كلام العرب: ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه قال أبو بكر بن الأنباري: الخلق في كلام العرب على وجهين: الإنشاء والتقدير. ويقول ابن سيده: خلق الله الشيء يخلقه خلقا: أحدثه بعد أن لم يكن وقال "المبرد" تخلق أي أظهر في خلقه خلاف بيته.

---

(1) الزمخشري (جار الله) : اساس البلاغة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (مادة الخلق) ، ص: 264.

(2) ابن منظور : جمال الدين ابن مكرم: لسان العرب ، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط1، ص: 1243 هـ، (مادة خلق)

وسؤال أحمد بن يحي: عن قوله تعالى: << مخلقة وغير مخلقة >>، فخلى الناس على ضربين تام الخلق وناقصه، قال اللحياني: رجل خليق، تام الخلق، معتدل. وفي حديث الحوارج: هم شر الخلق والخليق، الخلق يعني الناس، والخليقة يقصد بها البهائم والخليقة هي الطبيعة التي يخلق بها الناس [1]، والخلقة عند اللحياني تعني الفطرة وفي التنزيل:<< إنك لعلى خلق عظيم >>، والجمع أخلاق، والخلق السجية والدين والطبع وفي حديث عائشة: كان خلقه القرآن أي كان متمسكا به وبآدابه وأوامره والخلق: التقدير ويقال: قصيدة مخلوقة أي منحولة أي غير قائلها [2].

من خلال ما سبق نفهم أن الأخلاق تتمحور حول الدين والطبع والسجية والتمسك بآداب القرآن وأوامره.

ووردت أيضا في معجم محيط المحيط مادة خلق والأخلاق بمعنى: خلق الأديم: يخلُقُه خلقا وخلّقه قدّره: خلق الشيء: ملّسه وليّنه، خلق الكلام: صنعه، خالق الناس مخالقة عاشرهم بخُلقٍ حسن، تخلق بأخلاقه: تطبع بطباعه، وتخلق الرجل: تطيب بالخلوق. اخلولقت السماء أن تمطر: أي عسى أن تمطر. الخالق من صفاته تعالى: هو المبدع للشيء المبتكر على غير مثال سبق، الخَلاق: النصيب الوافر من الخير، الخُلُق: الطبع والسجية، والدين، والعادة، والمروءة. علم الأخلاق: علم السلوك وهو من أنواع الحكمة العملية ويسمونه تهذيب الأخلاق والحكمة والخليقة أيضا، الخُلّقُ: الارتقاء ويطلق على المرأة الخليقة: الطبيعة: المخلوقات من الناس والبهائم.

مخلوقة: منحولة ويطلق على القصيدة المنسوبة إلى غير قائلها[3].

---

(1) ابن منظور : جمال الدين ابن مكرم: لسان العرب، المرجع السابق ، ص: 1244.

(2) المصدر نفسه ، ص : 1245.

(3) بطرس البستاني: محيط المحيط، ج1، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، ص25، (مادة خلق).

لقد تناول معجم محيط المحيط الأخلاق بمعنى السجية والطبع والدين وهو علم السلوك والتحلي بالفضائل في معاشرة الناس والابتعاد عن الرذائل.

ثم جاء في معجم الوسيط مادة خلق والأخلاق بمعنى:

خلق الثوبُ والجلدُ وغيرهما: خلوقا بَلِيَ. ويقال فلان يخلقُ ثم يفرى: يقرر ثم يمضي في الأمر، وخلق الله العالم: صنعه وأبدعه ويقال خلق فلان الشيء: أفرزه وخلقَ الشيء: ملّسه وليّنه.

أخلق الثوب والجلد وغيرهما: بَليَ وفلان صارت ملابسه أخلاقا. ويقال أخلق ثياب فلان: ولّى، وأخلق الشيء: أبلاه وأخلق فلان أي أعطاه ثوبا فلقا. يقال ما أخلقه أن يفعل كذا ما أجدره. وخالقة: مخالقة وخلاقا: عاشره على أخلاقه. خلّقه: ملّسه وسواه وأتم خلق. تخلّق: تكلف أن يظهر من خلُقِه خلاف ما ينطوي عليه.

الأخلاق: علم موضوعه أحكام قيمية تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح الأخلاقي: هو ما يتفق وقواعد الأخلاق أو قواعد السلوك المقررة في المجتمع وعكسه: لا أخلاقي. الخالق: من أسماء الله، رجل خالق: صانع. الخلاق: الحظ والنصيب، ويقال فلان لا خلاق له: لا رغبه له في الخير.

الخُلق: حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر أخلاق. مخلوقة: منحوله ويُطلق على القصيدة [1].

الأخلاق هنا هو علم أحكام اتجاه الأعمال الحسنة أو القبيحة الراسخة في النفس البشرية سواء كانت خيرا أو شرا، ثم في معجم اللغة العربية المعاصرة مادة خلق والأخلاق بمعنى:

---

(1) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، ج1، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، ص252.

خلق: يخلق خلوقا فهو خلق وأخلقٌ.

خلق الثوب: بلّى ورث، خلق يخلق خلقا فهو خالق. خلق الشيء أبدعه على غير مثال سابق أي أوجده من العدم، خلق الكلام: صنعه، قصيدة مخلوقة: منحولة ومنسوبة إلى غير قائلها، خلق الله فلان على كذا جبله وفطره عليه. اختلق القول: أقره وادعاه إخلولقت السحاب أن تمطر: قاربت[1].

تخلق بأخلاق العلماء: حمل نفسه على التطبع بها، تخلق فلان علينا: تسخط علينا تخلق الجنين في بطن أمه: تشكل وتكون خالق فلانا: عاشره على أخلاقه. خلق الشيء: أكمله. أتم خلقه، أخلاق: جمع مفرد خُلُق: مجموعة صفات نفسية وأعمال الإنسان التي توصف بالحسن أو القبح.

علم الأخلاق: أحد أقسام الفلسفة وهو علم نظري يحدد مبادئ عمل الإنسان في العالم وغرضه تحديد الغاية العليا للإنسان وهو علم بالفضائل وكيفية التحلي بها والرذائل وكيفية تجنبها. الخالق: اسم من أسماء الله [2] لا خلاق له: لا رغبة له، خُلقٌ: جمع أخلاق: حال من النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر. أخلاقية مذهب يُقرّ بوجود الأخلاق عكس لا أخلاقية[3].

لقد وردت الأخلاق في هذا المعجم بمعنى الطبع والسجية والدين من ناحية ومن ناحية أخرى وردت بمعنى الأعمال الراسخة في النفس التي يحكم عليها بالحسن أو القبح.

---

(1) أحمد مختار عمر: اللغة العربية، ج1، عالم الكتب، القاهرة، ط1، ص687.

(2) المرجع نفسه، ص688.

(3) المرجع نفسه، ص689.

ب. اصطلاحا:

لقد عرّف العلماء الأخلاق تعريفات كثيرة ومتنوعة منها:

1.**تعريف ابن مسكويه:** الذي عرف الأخلاق بأنها: <<حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رؤية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج كالإنسان الذي يجن من يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب وكالإنسان الذي يجن من أيسر شيء كالذي يفزعه أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتعب من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من أي شيء يعجبه، وكالذي يستاء ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه الفكر، ثم يستمر عليه شيء فشيء حتى يصير ملكه>>[1].

2. **تعريف الغزالي:** حيث نجده يعرفها بأنها: << هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة من غير حاجة إلى فكر ورؤية>>[2] .

*نلاحظ من التعريفين السابقين أنهما يجنحان إلى منهج فلسفي إلى حد بعيد لأنه كما هو معروف عن ابن مسكويه أنه متأثر بدرجة كبيرة وإلى أبعد حد بالتفكير الأرسطي ومع ذلك فإن التعريفين قد كشفنا لنا معانٍ مهمة من معاني الأخلاق فهي صفات مستقرة في النفس الإنسانية تصدر عنها الأفعال وردودها سريعة وبطريقة تلقائية ولا تكلف فيها.

3.عبد الكريم زيدان: الذي يعرفها بقوله: << أنها مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وفي ضوئها، وميزانها يحسن الفعل في الإنسان أو يقبّح ومن ثم يُقدِمُ عليه أو يبتعد عنه>>[3] .

---

(1) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الحياة للطباعة والنشر، (دت)، ط2، ص51.

(2) عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، دار العرف، مصر، 1408ه، ص79.

(3) عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، ص 80.

إن هذا التعريف هو نفسه تعريف الغزالي مع بعض الإضافات الواضحة والتي تتمثل في أن المعاني والصفات المستقرة في النفس هي الدافع للإقدام على الفعل بحسب حسنه وقبحه.

4.**وكذلك عثرنا على تعريف للدكتور يالجن yaljan بأنها:** << عبارة عن عمل الخير والشر والحسن والقبح وله قواعده التي حددها الوعي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه>>[1].

إن هذين التعريفين مختصران عن التعريفات السابقة، وأقرب إلى المعنى والدلالة.

وبهذا نلاحظ أن معنى الأخلاق في الاصطلاح لا يبتعد كثيرا عن معناها في اللغة فنجد بينهما علاقة وطيدة فالعلماء يريدون بها تلك الصفات التي تقوم بالنفس على سبيل الرسوخ، والبقاء ويستحق الموصوف بها المدح أو الذم.

كما يرى البعض من العلماء أن الأخلاق يضم التحلي بالمليح والتخلي عن القبيح.

3 الجاهلية:

أ -لغة:

الجاهلية في معجم العين مأخوذة من الفعل الثلاثي جَهَل فنقول جهل فلان حقّه وجهل علي. وجهل الأمر، والجاهلية هي الفترة التي سبقت الإسلام وهي نقيض العلم [2]. ومنه فالجاهلية في هذا المعجم تعني الأمية.

ورد في معجم أساس البلاغة جهل بمعنى سافه أما الجاهلية فهي كل ما هو قديم والجاهل: الذي لا علم له[3]. ومنه فالجاهلية هنا تعني الأمية والسفه.

وفي معجم لسان العرب وردت كلمة الجهل بأنها نقيض العلم وهي الأنفة والغضب أما الجاهلية فهي الفترة التي سبقت الإسلام والتي تميز العرب فيها بالجهل بالله سبحانه

---

(1) مقداد يالجن: التربية الأخلاقية الإسلامية، عالم الكتب، الرياض، (1412ه، 1992م)، ط1، ص81.

(2) الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص27، (جهل).

(3) الزمخشري (جار الله): أساس البلاغة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص260، (جهل).

وتعالى ورسوله الكريم وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر والتسلط. الجاهلية في هذا المعجم تعني الأمية من جهة ومن جهة أخرى تضم كل الصفات القبيحة الذميمة التي كان يتميز بها العرب قبل ظهور الإسلام وما كانوا يتميزون بها[1].

تندرج كلمة الجاهلية في معجم اللغة العربية المعاصرة ضمن باب جهل وهي بمعنى جفا وتسافه وحمُق وأظهر الطيش أما كلمة الجاهلية فتأخذ معنى ما كان عليه العرب قبل الإسلام من الجهالة والضلالة وتحكيم العصبية والوثنية[2]. ومنه فالجاهلية هنا تعني أحوال العرب قبل ظهور الإسلام من عبادة الأوثان وغيرها [3]، والجاهلية بهذا المعنى تعني الأمية، والصفات التي كان عليها الجاهليون من سوء.

أما في معجم الوسيط فقد وردت الجاهلية بمعنى: ما كان عليه العرب قبل الإسلام من الجهل والضلالة، وجهل بمعنى جفا وتسافه[4].

نستنتج مما سبق أن الجاهلية في المعاجم الحديثة تعني أحوال العرب قبل ظهور الإسلام وما تميزوا به من جهل وضلالة وأمية وبهذا فهي قد تشابهت مع المعاجم القديمة في هذا التعريف.

بعد دراستنا لبعض المعاجم القديمة التي تناولناها كمعجم "لسان العرب" لابن منظور ومعجم "العين" للخليل ابن أحمد الفراهيدي و"أساس البلاغة" للزمخشري لاحظنا أنها قد تشابهت مع بعض المعاجم الحديثة كمعجم "محيط المحيط" لبطرس البستاني ومعجم "اللغة العربية المعاصرة" لأحمد مختار عمر بالإضافة إلى المعجم "الوسيط" في شرح وتعريف وتفسير كلمة سَلِمَ والإسلام، فكلاهما تناولا سلِمَ بمعنى نجى وبرئ والإسلام بمعنى الطاعة والانقياد والخضوع والتسليم لأمر الله تعالى والالتزام بما أتى به نبيه محمد "صلى الله عليه وسلم".

---

(1) ابن منظور (جمال الدين بن مكرم): لسان العرب، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط1ن ص713.

(2) أحمد مختار عمر: اللغة العربية المعاصرة، ج1، عالم الكتب، القاهرة، ط1، ص 413-414.

(3) بطرس البستاني: محيط المحيط، ج1، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، ص123.

(4) مجمع اللغة العربية المعاصرة بالقاهرة: المعجم الوسيط، ج1، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، ص144.

وبهذا نلاحظ ونستنتج أنه لا فرق بين المعاجم القديمة والمعاجم الحديثة في ضبط وتعريف كلمتي سلِم والإسلام.

ب -اصطلاحا:

قد يتبادر إلى الأذهان أن العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة، فهو يدل على المراحل التاريخية التي مرت بها الجزيرة العربية في العصور القديمة قبل الميلاد وبعده. ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتسعون في الزمن به هذا الاتساع. إذ لا يتغلغلون به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية بل يكتفون بهذه الفترة الزمنية، وهي الفترة التي تكاملت للغة العربية منذ أوائلها، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي، ولاحظ الجاحظ ذلك بوضوح إذ قال: << أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن أول من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه "امرؤ القيس بن حُجْر" و"المهلهل بن ربيعة" فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له. إلى أن جاء الله بالإسلام، خمسين ومائة عام وإذا استظهرناه غاية الاستظهار فمائتي عام>> [1] وهي ملاحظة دقيقة أن ما قيل هذا التاريخ في الشعر العرب مجهول، ونفس تاريخ العرب الشماليين يشُوبُهُ الغموض منذ قضى الرومان على دولتهم، إلا بعض أخبار فارسية وبزنطية قليلة وبعض النقوش التي عثر عليها بعض العلماء وتشير تلك النقوش إلى وجود إمارة الغساسنة في الشام والمناذرة وغيرها غير أن معلوماتنا عن هذه الإمارات فيما وراء القرن السادس ميلادي محدودة وهي إنما تظهر في العصر الجاهلي الذي نتحدث عنه إذ حمل لنا العرب الكثير من الأخبار عنها وعن أمرائها الذين كانوا يستولون على الحكم كما حملوا لنا أخبار مدن الحجاز وخاصة مكة بيت الله وعن القبائل وما كان فيها من حروب وصراعات[2].

من أجل هذا كله نقف بالعصر الجاهلي عند هذه الفترة المحدودة عند مائة وخمسين عاما قبل الإسلام، وما وراء ذلك يمكن تسميته بالجاهلية الأولى وهو يخرج عن هذا

---

[1] شوقي ضيف: العصر الجاهلي، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط22، ص38.

[2] المرجع نفسه، ص39.

العصر الذي ورثنا عنه الشعر الجاهلي واللغة الجاهلية والذي تكامل في نشوء الخط العربي وتشكله تشكلا تاما كما قدّمنا في غير هذا الموضع، فذلك العصر المتميز الواضح في تاريخ العرب الشماليين هو العصر الجاهلي وينبغي أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد الإسلام ونقيضه. إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله عزوجل وما ينطوي تحته من سلك خلقي كريم، وردت الكلمة في الذكر الحكيم والحديث النبوي والشعر الجاهلي بهذا المعنى ومثال ذلك في سورة البقرة في قوله تعالى: << ***قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجاهلين*** >>[1] الآية 66، كما ورد في سورة الأعراف أيضا قوله تعالى: << ***خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ***" >>[2] الآيتين: 198–199. ومن خلال هذه النصوص جميعا اتضح لنا أن هذه الكلمة استخدمت في القديم للدلالة على السفه والطيش والحمق وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام.

نستنتج أن الجاهلية في المعنى اللغوي قد تشابهت مع المعنى الاصطلاحي في التعريف فقد وردت بمعنى أحوال العرب قبل ظهور الإسلام وما كانوا عليه من عادات وتقاليد والتي تتمثل في الطيش والسفه والحمق والوحشية وغيرها من الصفات السيئة.

4 الإسلام:

أ لغة:

وردت في معجم العين مادة "سلِم" بالمعاني الآتية:

سَلِم: السَلْمُ: دلو مستطيل له عروة واحدة وجمعه سلام قال:

---

(1) سورة البقرة، الآية 66، ص10.

(2) سورة الأعراف، الآيتين 198–199، ص200.

سَلْمٌ ترى الدالح منه أزورا *** يُسقون من ورد البريص عليهم [1]

والسلم: لدغ الحية، والملدوغ يقال له: مسلومٌ، وسليم وسُمي به نظيرٌ من اللديغ لأنه يقال سلمه الله ورجل سليمٌ: أي سالمٌ وقد سلَم سلامة، والسلام الحجارة لم أسمع واحدها ولا سمعت أحدا يفردها. وقيل واحدته سلمة.

السلام: ضرب من دق الشجر والسلام يكون بمعنى السلامة وقول الناس السلام عليكم: أي السلامة من الله عليكم وهو اسم من أسماء الله والسلام هو الله، السَلمُ: ضرب من الشجر الواحد ويقال للمدبوغ بالقرظ: مقروظ وبفشر السلم مسلوم.

والإسلام: الاستسلام لأمر الله تعالى وهو الإنقياذ لطاعته والقبول لأمره واستلام الحجر لمسه باليد أو بالكف والسلم ما أسلفت به ويقال هو الُلَمُ أي السبب والجميع السلاليم والسِّلم ضد الحرب ويقال السَّلم والسِّلم واحد[2].

ومنه فالإسلام هنا يأتي بمعنى الطاعة والانقياد والاستسلام لله وحده والرضا بما أمر الله به في كتابه.

ثم في معجم أساس البلاغة للزمخشري: وردت لفظة سلم بمعنى سلم: سلَم من البلاء سلامة وسلاما ومن المرض برئ[3].

سلّمه الله: سلّم إليه الشيء فتسلمه، وسالمت العدو مسالمة وتسالموا وخذوا بالسلم وفلان سَلْمٌ وسِلِمٌ لفلان وحزب له وعقد عِقد السلم وأسلم في كذا، وأسلم لأمر الله وسلّم واستسلم وأسلمه للهلكة وهو سلم في يد العدو مسلمٌ، واستلمَ الحجر: من السلام وهي الحجارة وفي مثل: << اكتم للسر من السلام وفي قول ذي الرمة:

ولم يستطع إلف لإلفً تحيةٍ *** من الناس إلا أن يُسلم حاجبه

---

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ص269، (مادة سلم).

(2) الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، المرجع السابق، ص270.

(3) الزمخشري (جار الله): أساس البلاغة، ص470.

وبات بليلة سليم وهو اللديغ، وسلمت له الضيعة: خلصت ورجل مستلم القدمين: لَيَنْهُمَا. وقد استلم الخُفُّ قدميه أي لينهما، وكلمة سالمة العينين حسنة، ثم قال ذي الرمة أيضا:

وعوراء من قبل امرئ قد دفعتها *** بسالمة العينين طالبةً غدرا (1)

أخذت كلمة سلم في هذا المعجم معاني متعددة وهذا حسب موقعها في الجملة أما كلمة الإسلام فقد وردت بمعنى الاستسلام لأوامر الله والانقياد والقبول بها.

وردت في معجم لسان العرب لابن منظور مادة سلم بمعنى:

سلم: معناه أن الله مضطلع عليكم فلا تغفلوا وقيل معناه اسم السلام عليكم. والسلام: السلامة والسلام: الله عزوجل اسم من أسمائه لسلامته من النقص والعيب والسلام في الأصل السلامة ومنه قيل للجنة دار السلامة من الآفات. والسلام: الاسم من التسليم قال تعالى << ***فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ*** >> والسلام في رأي محمد بن يزيد في لغة العرب أربعة أشياء: السلام جمع سلامة. السلام اسم من أسماء الله تعالى. السلام شجر، السلام مصدر سلّمت وهو الدعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه السالم في العروض: كل جزء يجوز فيه الزحاف، السَّلمُ: لدغ الحية والسليم اللديغ(2).

السَّلم والسِّلم: الصلح والسلم المسالم، وقوم سِلِمٌ وسَلَمٌ: مسالمون والسلم: الاستسلام والتسالم: التصالح، السلام ضد الحرب والإسلام هو الانقياد وإظهار الخضوع والشريعة والالتزام بما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم(3).

ومنه فالإسلام هو دين الله الحنيف الذي يدعو إلى الالتزام بما جاء به النبي والانتهاء والابتعاد عما نهى عنه.

---

(1) المصدر نفسه، ص471.

(2) ابن منظور (جمال الدين بن مكرم): لسان العرب، ص2080 (مادة سلم).

(3) المصدر نفسه، ص2087.

كما ورد في معجم محيط المحيط لبطرس البستاني بمعنى:

سَلَمَتْهُ الحية: لدغته، سلِم من العيوب والآفات: نجا وبرئ منها سلّمه وسلّم عليه: ألقى عليه السلام، وسلمه الله من الآفة وقاه إياها سلمه إلى فلان أعطاه إياه. سلّم به: رضي، سلّم إليه: انقاد. أسلم عن الأمر: تركه بعدما كان فيه. تسلّم فلان: أسلم. يقال كان كافرا ثم تسلّم أي صار مسلما. استلم الحجر الأسود أي لمسه. استسلم الرجل: انقاد [1]. السلام من أسماء الله تعالى من النقص والعيب والسلام: التحية، دار السلام: الجنة لأنها الدار الدائمة.

السلم: الصلح وهو أيضا السلام والإسلام، السَلمْ: الاستسلام السلماء: الأرض الأسلم: السليم من الآفات، الإسلام: الطاعة والانقياد لأمر الله تعالى، التسليم: "ترك الاعتراض وهو عند أرباب السياسة: ترك الحرب، المسلوم؛ الملدوغ والمدبوغ[2].

الإسلام هنا بمعنى الدخول في دين الله والالتزام والانقياد لأوامر الله والتصديق بما جاء به رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام والتخلي عما كان فيه من صفات سيئة واستبدالها بصفات حسنة.

كما ورد في معجم الوسيط مادة سلِم في عدة معاني:

سَلَمَ: الجلد سلما دبغه بالسَّلَمِ، سلم من الآفات ونحوها سلاما وسلامة برئ، أسلم: انقاد وخضع لدين الله ودخل في الإسلام وسلِم في الشيء يعني تركه بعدما كان فيه، وفي البيع: تعامل بالسلم، سلَّم: انقاد ورضى بالحكم وخرج المصلى من الصلاة بعد قوله السلام عليكم ونقول: استلم الزرع: يعني خرج سنبله واستلم الحاج الحجر الأسود بالكعبة لمسه بالقُبلة أو اليد، تسلم الشيء: أخده وقبضه، تمسلم الكافر: أسلم واستسلم: انقاد، الإسلام: إظهار الخضوع والقبول لما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم، السلام: من أسمائه تعالى دار السلام: الجنة، السِّلْمُ: الإسلام والصلح وخلاف الحرب، السَّلَمُ: الاستسلام والتسليم

---

[1] بطرس البستاني: محيط المحيط، ص432.

[2] المرجع السابق، ص424.

السَّلِمَةُ: الحجر والمرأة الناعمة الأطراف، ج.سلام، المسلم: من صدق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأظهر الخضوع والقبول لها[1].

وردت في هذا المعجم مادة أسلم والإسلام بمعنى الخضوع لأوامره سبحانه وتعالى والانقياد له والقبول بما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام.

ثم ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر بمعنى سلِمَ فلان: أمن على نفسه وماله: سَلِمَ له الحكم: خَلَص، سلم من العيوب والآفات: برئ، أسلم يسلم إسلاما فهو مسلم. أسلم الشخص دخل في دين الإسلام، اسلم الشيء إليه: دفعه إليه استسلم الشخص انقاد وخضع، استسلم لله: خضع له[2].

سلّم المصلي: خرج من الصلاة بقوله السلام عليكم، سلّمه من الأذى نجاه، سلّم على القوم، حياهم وقال لهم السلام عليكم.

إسلام: مصدر إسلم: وهو الدين السماوي الذي بعث الله به محمدا << ورضيت لكم الإسلام دينا>> الشريعة الإسلامية: التعاليم القرآنية ومصادر التشريع الأخرى، دار السلام: بلاد المسلمين وتعني الجنة وهو من أسماء الله الحسنى ومعناه صاحب السلامة[3].

ومن خلال ما سبق فالإسلام هو الدين الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ودعا إليه البشرية ولا نقول عن إنسان ما أنه مسلم إلا إذا دخل في دين محمد والتزم بما أمر به الله والرسول صلى الله عليه وسلم.

ب –اصطلاحا:

يرى شوقي ضيف أن الإسلام <<هو الشريعة الإلهية الأخيرة التي تفرض سلطانها على كل ما سبقها من شرائع سماوية، وهو يقوم على ركنين أساسيين هما: العقيدة والعمل وتسمى العقيدة بالإيمان من الأمن بمعنى الطمأنينة النفسية وتصديقها بما جاء به الرسول

---

(1) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: معجم الوسيط، ص446.

(2) أحمد مختار عمر: اللغة العربية المعاصرة، ص1099.

(3) المرجع نفسه، ص 1100.

صلى الله عليه وسلم، وأهم أصل في العقيدة هو الإيمان بوحدانية الله فلا عبودية لغير الله من أوثان وأحجار وكواكب، والله مع قدرته وسلطانه وعقابه للمذنبين الآثمين رحيم بعباده، وتقترن بالرحمة في القرآن ثم المحبة التي يفيضها الله على عباده>> [1] ويكثر القرآن الحديث عن عقيدة المعاد فالناس جميعا مبعوثون بعد موتهم، كما يردد دائما أن الإنسان مشدود إلى إرادة الله العليا ومشيئته الربانية، التي تسيطر على كل ما في الكون وهذه بعض من أصول العقيدة الإسلامية وبجانبها أعمال من العبارات يجب على المسلم أداؤها وهي خمسة الشهادتان ثم إقامة الصلاة وما سبقها من وضوء وما فيها من تلاوة للقرآن وبعدها إيتاء الزكاة ثم صوم رمضان الذي هو ابتلاء من الله وأخيرا حج بيت الله الحرام الذي يكون في أشهر معلومات[2].

أما منقذ بن محمود القار فيرى أن الإسلام: << هو دين الله الذي أنزله على جميع الأنبياء، فقد دعوا جميعا إلى أصول واحدة تقوم على توحيد الله وتعظيمه وعبادته والاستسلام لأوامره والخضوع لأحكامه والدعوة إلى حراسة فضائل الأخلاق والارتقاء بالسلوك الإنساني>>[3].

وقد امتاز الإسلام << بخصائص ذاتية جعلته في الماضي وتجعله اليوم أسرع الأديان انتشارا على وجه الأرض، فقد غطى نصف الأرض بحضارته وتسابقت الأمم إلى الدخول فيه لما قرأت فيه من توافق مع الفطرة ومواءمة مع العقول وسماحة في المعاملة ويسر في المعتقد>>[4] وهو يقوم على خمسة أركان << تمثل الركن الأول في الشهادة لله بالتوحيد والرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة، والركن الثاني يتمثل في إقامة الصلاة فهي عمود الدين وركنه الركين وقد فضها الله عز وجل على المسلمين ومنها ما شرع وجوبا ومنها ما يؤديه المسلم تطوعا، والركن الثالث هو إيتاء الزكاة بأن يتصدق الأغنياء

---

(1) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط20، ص11.

(2) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، المرجع السابق، ص ص 13-14.

(3) منقذ بن محمود السقار: تعرف على الإسلام، دار تيدكلت للنشر، ص6.

(4) المرجع نفسه: ص3.

على الفقراء والمساكين وهو يقصد مرضاة الله، أما الركن الرابع فيتمثل في صوم رمضان وهو عبادة فرضها الله في شهر رمضان والركن الأخير يتمثل في حج بيت الله الحرام وهو عبادة دينية فرضها الله على المسلم في العمر مرة واحدة وهو مظهر من مظاهر المساواة والوحدة بين المسلمين>>[1].

نلاحظ أن الدكتورين منقذ بن محمود السقار وشوقي ضيف قد اختلفا في تعريف الإسلام فالأول يرى أنه الشريعة الإلهية التي أنزلت على جميع الأنبياء في حين أن الثاني فيرى أنه الشريعة الإلهية الأخيرة وفقط، في حين أنهما تشابها في أركانه من حيث المعنى فكلاهما يحملان معنى العقيدة والعمل وإن اختلفا في العدد.

نستنتج من خلال ما سبق أن هناك من الاصطلاحين من تشابه واتفق مع اللغويين في ضبط وتعريف كلمة الإسلام مثل شوقي ضيف الذي يرى أنه دين محمد الذي أنزله الله عليه في حين أن هناك من الاصطلاحيين من كان رأيه مغايرا لرأي اللغويين مثل منقذ بن محمود السقار الذي يرى أن الإسلام هو ليس دين محمد فقط بل هو دين الأنبياء جميعا.

[1] منقذ بن محمود السقار: تعرف على الإسلام ، ص 9.

5 -حسان بن ثابت حياته وشعره:

1.5. نبذة عن حياته:

أ أصله ونسبه:

جاء في مقدمة ديوان حسان بن ثابت ترجمة عنى حياته كما يلي:

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجى، أمه هي "الفريعة بنت خالد بن قيس بن لدان" هي أيضا من بني الخزرج إحدى طوائف و قبائل الأنصار في الجاهلية وكنيته أبو عبد الرحمان و أبو الوليد و نسبه عربي ينتهي إلى قحطان.(1)

ب مولده و نشأته:

إن تاريخ ميلاد حسان لم يضبط و لم يعرف بدقة إلا أنه إذا اعتبرنا بأنه عاش مائة وعشرين سنة و توفي عام (54هــ – 673م) فحسان يكون قد ولد بحوالي ستة وستين سنة قبل هجرة النبي (ص) أي حوالي 553م، وكانت يثرب هي المدينة التي ولد بها الشاعر وفيها نشأ في قبيلتها الخزرج، حيث كان ينتقل بين يثرب واليمن في شبابه. (2)

ج. حسان شاعر الأنصار والغساسنة في الجاهلية:

مند أن تفتحت قريحة حسان الشعرية وأخذ ينظم القوافي التزم في بداية أمره أن يكون شاعر قبيلته على عادة الجاهلين، لكن الشاعر فيما بعد اتصل بالغساسنة وملوك الحيرة فمدحهم، ونال الخطوة، والمكانة عندهم. ويروي صاحب العقد الفريد أن حسان اتصل بالملك الحارث الجفني وأحد أشهر ملوك غسان فدخل عليه ومدحه برائية شهيرة(3)

---

(1) ينظر حسان بن ثابت: الديوان، تح عبد الله منرة، دار المعرفة،بيروت لبنان، 2002،ط1، ص07.

(2) ينظر بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام، دار صادر بيروت، لبنان، ط6 ص333

(3) ينظر ابن عبد ربه: العقد الفريد، .. محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، 1952،ط1،ج2، ص09

ومنذ ذلك اليوم وحسان يهجوا المشركين بلسانه، ويدافع عن النبي والإسلام فقال النبي "أمررت عبد الله بن رواحه فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى واستشفى"(1)

وقال الحطيئه: "أبلغوا الأنصار عن شاعرهم أشعر العرب"(2)

كما يعد مدح حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم من أجود وأحسن ما قيل في هذا الغرض ذلك لأن حسان لم يقل المدح إلا صادقا فهو لا يرجو كسبا، وإنما كان مدحه للعقيدة الإسلامية، والدين الجديد بأنه دين الصدق والصفاء، فهو القائل في النبي صلى الله عليه وسلم:

وأَحسنُ منكَ لم ترَ قطُّ عينـي *** وَأجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ

خلقتَ مبرأً منْ كلّ عيبٍ *** كأنكَ قدْ خلقتَ كما تشاءُ

ويقول يهجوا المشركين، ويدافع عن النبي:

ألا أَبلِغ أَبا سُفيانَ عَـــنّـي *** فَإِنَّ اللُؤمَ مــَعدِنُهُ حَـــراكا

تُسامي عُصبَةً مِن فَرعِ فِهرٍ *** وَقَد أَعيَت مَساعيهِم أَبـاكا

ذُؤابَةُ هاشِمٍ وَالفَرعُ مِنهُم *** وَقَد قَصُرَت عَنِ العَليا يَداكا

أَلَسنا مَعشَراً نَصَروا وَآوَوا *** وَقَد قَصُرَت عَنِ العَليا يَداكا

أَلَسنا مَعشَراً نَصَروا وَآوَوا *** وَخَصَّهُمُ المَليكُ بِفَضلِ ذاكــا

---

(1) عزيزة فوال بابتي: معجم الشعراء المخضرمين الأمويين، دار صادر لبنان، د ت، ط1،ص 102

(2) حسان بن ثابت: الديوان، ص:07

هُمُ صَدَقوا بِبَطنِ الشِعبِ ضَرباً *** وَطَعناً في نُحورِكُمُ دِراكا [1]

وظل حسان منذ هذه القصيدة يتردد على الغساسنة وينال الجوائز والعطايا حتى ظهر الإسلام وهاجر النبي وأعلن الشاعر إسلامه.

د. حسان و غزوات النبي صلى الله عليه وسلم:

طالما وصفت الأبحاث والدراسات الأدبية والتاريخية حسانا بالجبن، صحيح ومعلوم أن الشاعر لم يخض ولم يخرج وكان يتخلف مع النساء والصبية في المدينة إلا أن صحابيا جليلا وشاعرا فحلا كحسان ذاد عن النبي بلسانه أفضل ذود لا ينبغي أن نصفه بالجبان، لأن النبي أصلا قد عذر حسان ولم يلمه في هذا، لأن الشاعر كان فارسا بلسانه.[2]

ه. وفاته:

عاش حسان حوالي مائة وعشرين سنة، ستين منها في الجاهلية وستين في الإسلام وتوفي سنة (54هـ – 673م) أيام الدولة الأموية. [3]

2.5. ديوان حسان بن ثابت:

لحسان بن ثابت ديوان جمع فيه بين عدة أغراض كالمدح، الرثاء، الهجاء، الفخر: ففي المدح له عدة قصائد منها "كان الفتح وانكشف الغطاء"، وقد مدح فيها المصطفى (ص) وذلك قبل فتح مكة وله أيضا قصيدة "خلقت كما تشاء" يمدح فيها الرسول(ص) وهما من قافية الألف [4]. وله من قافية الباء قصيدة " وكفى الإله المؤمنين" من بحر

(1) حسان بن ثابت الديوان، ص111.
(2) بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام، ص 341.
(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(4) حسان بن ثابت: ديوان حسان بن ثابت، ص 18.

الكامل، وله" أمر الله يأخذ بالقلوب" من بحر الوافر، وله" بين في صوت الغراب إعترابهم" من بحر الطويل.[1]

وله قصيدة "أتانا بعد يأس" و " الشهاب المضيء" و "لا نبتغي ربا سواه" فاز من أمسى رفيق محمد (ص) خاب قوم غاب عنهم نبيهم، السيد الأسد والخلاق أبا ابن خلده.

أما في باب الرثاء: فله قصيدة لا يستوي الصدق عند الله والكذب من بحر البسيط [2] وله قصيدة "قتلتم ماجدا" من بحر الرمل يرثي فيها عثمان رضي الله عنه وألف كذلك قصيدة " لواء الحارثية" من بحر الطويل، وله أيضا قصيدة : "يوم الربيع" من بحر الكامل

وله قصائد أخرى منها: " حلفت يمينا"، "لا يرد الدمع شيئا"، "الحرب الضروس" "مؤتمن في النائبات"، "هذا أوان الحرب"، "بوركت يا قبر الرسول"........الخ[3]

وله كذالك قصائد في الهجاء منها: "لؤم مذبح" يهجو فيها قبيلة مذبح من بحر المتقارب، وله قصيدة:"من مبلغ صفوان" يهجو فيها صفوان بن أمية من بحر الكامل، وله واحدة أيضا:"واله ما ترى هديل" يهجو فيها هديلا من بحر الوافر، وله قصائد أخرى: يا آل تيم، معادهم شر المعاد، إن يأتهم تحمد، لو كنت منا، إذا قعدوا حول الندى تجاوبوا،.....الخ

---

(1) حسان بن ثابت: ديوان حسان بن ثابت، ص 26.

(2) حسان بن ثابت: ديوان حسان بن ثابت، المصدر السابق، ص 27 .

(3) المصدر نفسه ص:60 .

أ - إسلام حسان بن ثابت:

هجا حسان بن ثابت النبي صلى الله عليه وسلم حين كان النبي في أوائل أيام الدعوة لكن حسان حين هجرة النبي صلى الله عليه وسلم كان من أوائل الذين أسلموا مع الأوس والخزرج وحسن إسلامه واستقام وصار من أشعر شعراء الدين الجديد[1]

ب -حسان شاعر الرسول:

تعرض شعراء المشركين كعبد الله بن الزبعري، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعمر بن العاص، بالهجاء للنبي صلى اله عليه وسلم فطلب النبي عليه الصلاة والسلام الذود عنه فقال:" ما الذي يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم" فقال له حسان: أنا لها يا رسول الله: فقال النبي "كيف نفحوهم وأنا منهم" فقال حسان: "أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين" فقال له النبي" اهجهم ومعك روح القدس".[2]

كما له قصائد في الفخر منها:" نحن ولاة الناس" [3] من الطويل يفتخر فيها بنسبه "قبلت فؤادك في المنام خريدة"، "لنا الجفنات البيض" [4]، هلم إلينا، الإشراف حملة اللواء "لنا السيف في الهدى"، "مكارم الأقوام"، "ما بال عينك يا حسان"، "ألين إذا لان العشير" "الله أكرمنا بنصر نبيه"، "نحن أهل الحق".[5]

نستنتج أن ديوان حسان بن ثابت قد جمع نماذج رائعة من جيد الشعر الجاهلي وقصائد متقنة تتحدث عن العصر النبوي، وحقائق تاريخية من البعثة المحمدية، وأشعار

---

(1) ينظر بطرس البستاني: المرجع السابق، ص 336.
(2) حسان بن ثابت: الديوان، ص 07.
(3)المصدر نفسه ، ص 129.
(4)المصدر نفسه ص 218 .
(5)المصدر نفسه ص 235 .

طريقة تنبئ عن الحياة الشعرية الجديدة التي أخذ في بعثها الدين الجديد، وهذه فقط بعض النماذج من القصائد من ديوان حسان بن ثابت.

3.5. الأغراض الشعرية في ديوان حسان بن ثابت:

أكثر شعر حسان بن ثابت يتمحور في الهجاء، وقد وزع باقية في مدح الرسول (ص)، والفخر بالأنصار، ومدح الغساسنة والنعمان بن المنذر، ووصف مجالس اللهو والخمر.[1]

1/**غرض الفخر:** حسان في جاهليته تطغى عليه النزعة القبلية فمثلا ينهض في وجه قبيلة الأوس، وهي من أعداء قومه، ويفاخرها بأسلوب قديم وصلابة جاهلية، وإذا هو مردد إلى ما قاله شعراء الفخر من معان، ولما فاه شعراء الهجاء من أفكار، وإذا هو لسان وسيف وإذا اللسان والسيف صارمان، واللسان أشد السيف، وإذا هو كَفٌّ نداعا وسحابة جود، وهو الشخص الكريم على سنة الجاهلية أما قومه فشجاعة، وعزَّة.

لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَان كِلاَهُمَا *** وَيَبْلُغُ مَا لاَ يَبْلُغ السَّيْفُ مِذْوَدِي [2]

وإنك، وأنت تقرأ فخره تشعر بالاعتزاز الذي ينفح في صدره، و القوة التي تهتز بها نبرات صوته، وتتمثل الشاعر ناظرا إلى أعدائه من وعلٍ، نظرة الاستكبار، والاستهزاء متعمدا الكلام الضخم، الذي يضج في الأذن، ويحدث دويا، معتمدا القافية التي تبتعد عن الرقة والنعومة.[3]

---

(1) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، دار الجيل بيروت، ط1، 1986، ص 413.

(2) حسان بن ثابت الأنصاري: ديوان حسان بن ثابت، ص 82.

(3) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 413.

2) شعر النبوة:

يقف حسان إلى جانب النبوة موقفين: موقف المادح، وموقف المدافع فهو يمدح النبي، كما يمدح خلفاءه وكبار الصحابة: من دافع عن الإسلام بإخلاص وشجاعة ومدحه هذا أناشيد عقيدة, وألحان إكبار للرسالة الجديدة، وإعجاب بمناقب من قام بها هو صوت القلب في فرح من لقي النور بعد الظلام، وفي نشوة من انتصر على الوثنية الجاهلية فهو نبضات في غير تطويل، ولا تفضيل، وفي لغة لا تخلو من رقة وسهولة ووضوح. وإلى جانب المدح ندى الشاعر ينتصب للنضال في سبيل النبوة، وقد وجه هجاءه إلى القرشيين الذين هزئوا بالنبوة، وصاحبها، ورموها بالكلام القبيح، وكان بين أولئك القرشيين والرسول صلة النسب فحاول الشاعر أن يَسُلّهُ من بينهم تسلُّ الشعرة من العجين، وكان هجاءه طعنا بالفروع دون الأصل، وفصلا للأعداء من دوحة قريش ورميا لهم باللؤم والخزي في إقذاع شنيع.

3) غرض المدح و الوصف:

اتصل حسان بن ثابت بملوك الحيرة ومدحهم وكان مدحه لهم على الطراز القديم يحفل بالتضخيم والتعظيم كما يحفل بالكلام العالي اللهجة الصعب الألفاظ، وحسان في شعره هذا مكتسب، ينظم طلبا للرفض والعطاء.

أما وصف حسان، وقد عنينا به وصفه للمجالس والخمرة، فهو وصف يتدفق حيوية وإن أتى عرضا، هو وصف من أحب الخمرة، وعرف نشوتها هو وصف فخري على عادة الجاهلين، أكثر مما هو تفصيلي وتحليلي.(1)

نلحظ أن حسان بن ثابت قبل أن يدخل في الإسلام كان منصرفا إلى الذود عن حياض قومه بالمفاخرة، فكانت تغلب على شعره القبلي صبغة الفخر، أما الداء فيتمثل في

---

(1) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، ص 414.

العداء الذي كان ناشبا بين قبيلته و قبيلة الأوس، ولقد كان لفخر حسان نفحة عالية واندفاع شديد بما أن حسان – وباء احتكاكه بملوك الحيرة– زاد معرفة بشعر المديح، وأساليبه أما أسلوبه الهجائي فكان قويا. إذ يعتمد حسان إلى الواحد من الأعداء فبفصله عن الدوحة القرشية، ويجعلها فيهم طائرا غريبا يلجأ إليها كعبد، ثم يذكر نسبه لأمه فيطعن به طعنا شنيعا، ثم يسدّد سهامه في أخلاق الرجل، وعرضه فيمزقها تمزيقا في إقذاع شديد، ويخرج ذلك الرجل موطنا للجهل، والبخل، والجبن، والفرار من إغاثة الملهوف.

6 -أسلوب حسان بن ثابت في الجاهلية و الإسلام:

كان أسلوب حسان بن ثابت الجاهلي يتميز بنوع من الوحشية، والأخيلة البدوية تغلبت عليه جزالة اللفظ، وفخامة التعبير، وشموخ المعنى،والاتصال المباشر بالبيئة بالإضافة إلى أنه كان يميل إلى اللين وعذوبة اللفظ وسلاسة التعبير فحسان لم يلتزم تماما مذاهب غيره من شعراء عصره كالأعشى، والنابغة، وزهير وغيرهم ولم يغمد إلى التكلف في شعره، ولم يعرف عنه أنه حول شعره أو حككه أو نقحه بل كان يرسله إرسالا، كما أوحت به القريحة وحدثت به النفس لذلك يمكن القول أنه صاحب مدرسة شعرية خالفت مدرسة زهير منهجا، وممارسة. ولعل الأقدمين لمحوا إلى شيء من ذلك فقال له النابغة الذبياني حين سمع شعره إنك الشاعر، كما شهد له الأصمعي في ما بعد بالشاعرية[(1)]

فمن أي النواحي أتيته وجدته شاعرا كشعراء الجاهلية الفحول تقريبا، فمن ناحية الطبع فهو شاعر مطبوع مغرق في الشاعرية فأبوه شاعر، وجده شاعر، وأبو جده شاعر كما أن ابنه شاعر، وحفيده شاعر، وحسان منهم واسطة العقد، وأما من جهة أغراض الشعر التي جال فيها فهي تؤكد شاعريته أيضا فلقد مدح، وهجا، وافتخر وشبب، ورثى ووصفن.

---

(1) فايز الترحيني: الإسلام و الشعر، دار الفكر، لبنان، ص 101 .

ويعتبر حسان بن ثابت من فحول الصف الثاني بين شعراء الجاهلية فهو لم يصل إلى مرتبة أصحاب المعلقات، ولم يستطع الارتفاع بشعره إلى مستوى قصائدهم الطوال المشهورة، فهو دونهم في الموهبة، والقدرة اللغوية، وسعة التجربة، وصدق الملاحظة ومع ذلك فله قصائد تعبر عن روح الجاهلية [1] ولكن رغم ذلك فإن شعر حسان اتسم بمسحة مدنية ميزت أسلوبه عن أساليب الشعراء آنذاك، فهو يكاد يخلوا من المعجم الشعري المألوف لدى فحول الشعراء الجاهليين، حتى ليوشك أن يكون قريب الشبه في لغته من لغة العصر الإسلامي، فاللغة المدنية أضفت على شعره طابعا من السهولة وانسياب النغم حرمته من تلك أللفتات النفسية، والدفقات الفنية الكثيرة التي نصادفها من شعر الفحول.

وبمجيء الإسلام أحسن حسان بن ثابت مع قومه الخزرجى إثر الهجرة وأخرج حسان لسانه الطويل الأسود، وهو معجب بسلاطته وهبط يلغ في أعراض القرشيين، لا يترك لهم أنثى، ولا ذكرا إلا وألصق به الفحش، والرذيلة، ولقد انتهج في ذلك منهجا آلم به المشركين أشد الإيلام، فكان يعارضهم بمثل قولهم بالوقائع وللأيام و المآثر، و يعيرهم بالمثالب و الفضائح التي كان يستقيها من أبي بكر و لا شك أن حسانا أدى للإسلام خدمة جليلة بمناهضته للرسول الكريم، ومدح مآثبه، وتعظيم غزواته ولقد عرف له النبي (ص) هذه الخدمات ففرط شعره كثيرا، وعطف عليه، وتجاوز عن بعض سيئاته.[2]

ويلحظ الدارس لشعر حسان بن ثابت أنه يمثل العصر الإسلامي أدبيا وتاريخيا فمن الناحية الأدبية، فهو لا يتجاوز معاصريه من شعراء صدر الإسلام، ككعب بن زهير والنابغة الجعدي والحطيئة وغيرهم، لأن عاطفته الدينية كانت سطحية تعاني من عدم عمق التمثل للقيم الإسلامية، لهذا قصر نفسه في الكثرة العظمة من قصائده الإسلامية،فأخذ

---

(1) فايز الترحيني: الإسلام و الشعر، ص 102.

(2) المرجع نفسه ، ص ص 103-104

يفتش عن تخلصات فنية جاءت متكلفة بالمقارنة إلى نتاج فحول الجاهلية، لكنه امتاز عنهم جميعا بقوة الذاكرة وسرعة التأثر، أما قوة الذاكرة فنراها واضحة في عسانياته التي جرى فيها على أسلوب الأقدمين فارتفع إلى درجة لم يصل إليها في الإسلام، وأما سرعة التأثر فجعلت لشعره الهجائي لدغة مؤلمة، واندفاعا قويا عنيفا، حتى ليحس المطالع صدر الشاعر يفوز كالمرجل، فتتطاير حممه، و يتدفق رشاشه، فيقذف لسانه بالشتائم المقذعة [1]، حتى إذا أفرغ جرابه في الأبيات القليلة، سكن سريعا كما هاج سريعا، وليس من شكل بان سرعة التأثر وعدم التمهل في استيعاب الموضوعات، وتتبع دقائق المعنى حالة بينه وبين الاضطلاع بالدين الجديد اضطلاعا كافيا، ففاته استخدام الكثير من معاني الإسلام وقيمه وتعاليمه، وفضلا عن ذلك فإن تأثره بالقرآن الكريم لم يكد يتجاوز المبنى، وإن تأثره بسيرة الرسول والصحابة لم يكد يتجاوز بعض المظاهر الخارجية[2]

من خلال حديث فايز الترحيني نلحظ أن حسان بن ثابت قد تحلل من المعجم الجاهلي حتى في أيام جاهليته، ويتردد لغته بين ألفاظ الفحول في الجاهلية وبساطة اللفظة الإسلامية وسهولتها وبالإضافة نرى أن المسحة المدنية قد وسمت أسلوبه جميعا، وكل ذلك جعل لحسان بن ثابت شأنه شأن شعراء المسلمين جميعا الذين صوروا الوقائع العربية بين المسلمين والمشركين، كما كانوا يصوّرون أيَّامَ العرب ووقائع القبائل، فجاء فخرهم امتدادا للفخر الجاهلي وهجَاؤُهُم قائما على العصبية القبلية وحقائق الأنساب في رفعتها أو وصفتها، لذلك نصادف عند حسان وغيره بعض القصائد التي لا نكاد ندرك أنها من الشعر الإسلامي إلا من إشارات إلى حدث إسلامي معيّن، وبالتالي فإن شعره لم يستطع التعبير تعبيراً عميقا عن المعاني الإسلامية، ولم يستطع تمثل تلك المعايير تمثلا حقيقياً.فالمرحلة كانت أكبر من أن يستوعبها استيعابا كافيا.

---

(1) د فائز الترحييني: الإسلام و الشعر، ص 104 .

(2) المرجع نفسه، ص 105.

خاتمة الفصل :

في ختام هذا الفصل نقول إن:

كلمة قيم أو قيمة قد تشابهت لغويا واصطلاحيا في التعريف فهي من الناحية اللغوية تعنى ثمن الشيء بالتقويم، ومن الناحية الاصطلاحية فهي تعني مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية، وتجعلها متكاملة، كما غاية نابعة من الشرع ، ومشتقة من الشريعة والعقيدة الإسلامية، وهي الطريقة التي تؤهلنا لاختيار كل أهدافنا، وتوجهاتنا وسلوكاتنا .

كما لاحظنا أيضا أن المعاجم القديمة مثل معجم الوسيط، ومجمع اللغة العربية المعاصرة في شرح وتعريف كلمة " خلق " والأخلاق، فتناولت خلق بمعنى أوجد وصنع،والأخلاق بمعنى الدين، والطبع ، والشجية، والتحلي بالفضائل، وممارسة أعمال الخير، وترك الشر، كما أنها طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى، بالإضافة إلى أنها الأعمال الراسخة في النفس التي يحكم عليها بالحسن أو القبح.

كما تشابهت أيضا المعاجم القديمة والحديثة السالفة الذكر في وضع تحديد معنى الجاهلية والجهل فالأولى تعنى أحوال العرب وما كانوا عليه من عادات، وتقاليد قبل ظهور الإسلام، والثانية تعنى عدم العلم ، كما هو حال العرب قبل الإسلام من غضب.

بالإضافة إلى ما سبق نجد التشابه الواضح بين المعاجم القديمة والحديثة أيضا،وكتب الدين، في الشرح وتعريف كلمة سلم، والإسلام، فالأولى بمعنى نجى، وبرى، كما أنه التسليم، والإنقياد، والثانية بمعنى توحيد الله بالعبادة، والبراءة من الشرك بالله، وهو يقوم على أساس الفطرة الإنسانية، والمساواة بين الأفراد المجتمع الإسلامي، فلا يفرق بين الضعيف والقوي ولا بين الفقير والغني، كما أنه الإنقياد والخضوع، والتسليم، والإلتزام لأمر الله تعالى، والتصديق بما جاء به النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

وبهذا توصلنا إلى أنه لا يوجد فرق بين ما هو موجود في المعاجم أو الكتب القديمة والكتب الحديثة في تعريف وشرح وتحليل كل من القيمة والأخلاق والجاهلية والإسلام في اللغة الاصطلاح.

1 -القيم الأخلاقية في الجاهلية:

1.1. في المجتمع الجاهلي:

أ -التجارة في العصر الجاهلي:

منذ القديم كانت جزيرة العرب طريقا عظيما للتجارة، ثم انتقلت إلى ممالك أخرى كالشام و مصر، و أهم هذه الغلاة البخور الذي يكثر في الجنوب، ولاسيما في إظهار وطورا انتقل غلاة بعض الممالك إلى البعض الآخر، ذلك لأن طريق البحر لم يكن طريقا آمنا فالتجأ التجار إلى البريسكوتة، و لكن طريق البرنفسه كان طويلا و كان خطرا، لذلك أحاطوه بشيء من العناية، كأن تخرج التجارة قوافل، وأن تسير القوافل في أزمنة محددة و في طرق محدودة و كان في جزيرة العرب طريقان عظيمان للتجارة في الشام والمحيط الهندي أحدهما يسير شمالا من حضر موت إلى البحرين على الخليج الفارسي، والثاني يبدأ من حضر موت أيضا، ويسير محاذيا للبحر الأحمر متجنبا صحراء نجد وهجيرها ومتجنبا هضاب الشاطئ ووعرتها وعلى هذا الطريق الأخير تقع مكة في المنتصف تقريبا بين اليمن وبطره.[1]

هذه الطرق التجارية أفادت العرب فائدة كبيرة، وفتحت لهم بابا للرزق فمنهم من كان يسكن المدن الواقعة على الطريق ويتاجر لنفسه، ومنهم من كان يستخدم في التجارة سائقا أو حارسا أو دليلا، ومع ميل العربي للغزو والنصب، وتصد يده للممالك، ومهاجمته لها من حين لآخر فإن حبه للوفاء وشعوره بالشرف وتقديره للوعد الذي يصدر منه جعله يستطيع أن يتعامل مع من حوله من الأمم، ويمهد الطريق لتجارة واسعة منظمة فكانت كثير من القبائل تحمي القوافل من تعدي قبائل أخرى، وزاد في نجاحهم علمهم بالصحراء وسبلها، ومواضع الأمن والخوف فيها، وكذالك قدرتهم عن تحمل القيظ وعناء السير.

(1) أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط10، 1969، ص 12.

كانت التجارة قديما في يد اليمنيين، وكانوا هم العنصر الظاهر فيها، فعلى يدهم كانت تنقل غلاة حضر موت وظفار وواردات الهند إلى الشام ومصر، ثم انحط اليمنيون لأسباب، وحل محلهم في القبض على ناحية التجارة عرب الحجاز، وكان ذلك مند القرن السادس ميلادي، فكان هؤلاء الحجازيون يشترون السلع من اليمنيين ثم يبيعونها على حسابهم في أسواق الشام ومصر وقليلا ما يبيعونها في أسواق فارس، وجعل عرب الحجاز مكة قاعدة لتجارتهم، ووضعوا الطريق تحت حمايتهم ووصل المكيون قبل الإسلام عندما كان العداء بين الفرس والروم بالغا منتهاه إلى درجة عظيمة في التجارة، وكان يعتمد الروم على تجارة مكة في كثير من شؤونهم كالحرير، وكان في مكة نفسها بيوت تجارية رومانية يستخدمها الرومانيون للشؤون التجارية والتجسس على أحوال العرب كذلك كان فيها أحباش ينظرون في مصالح قومهم التجارية كان أشهر من يسكن مكة قبيلة قريش وأبوها النظر بن كنانة فكل من كان من ولد النظر فهو قرشي، وقد رأى بعضهم أنها سميت قريشا لاشتغالها بالتجارة [1] وقد ساعد قريشا على بلوغ هذه المنزلة موقعها الجغرافي ولم تكن التجارة هنا تقتصر على تبادل العروض والنقود فقط بل تتعداها إلى الأمور المعنوية والأدبية، فالعرب قد استفادوا فوق تجارتهم المادية شيء من مدينة الروم والفرس وأدبهم، ولا يزال عرب اليمن والحجاز أنفسهم في أيامنا هذه يستفيدون من زيارة مصر والشام، ويأخذون من مدينتها وعلومها [2] بالإضافة إلى مده بالأخلاق التي كانت منتشرة في العهد الجاهلي، كان شرب الخمر و القمار مستحوذا على أهل الجاهلية، فنجد الخمر في الجاهلية تجري على كل لسانه، وقد اشتهر بالحديث عنها، وعن كؤوسها وحوانيتها ومجالسها أعشى قيس وعدي بن زيد العبادي الحيري، وعرض لها كثيرون في أشعارهم مفاخرين بأنهم يحتسونها ويقدمونها لرفاقهم، وأكثر من كان يتاجر بها اليهود والنصارى وكانوا يجلبونها من بلاد الشام والحيرة وبلاد العراق، ويقال أنهم كانوا

---

(1) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص 13.

(2) المرجع نفسه، ص 15.

يضربون خيامهم في بعض الأحياء أو في بعض القرى،ويضعون فوقها راية تعلن عنهم فيأتيهم الشباب ليشربوا وليسمعوا بعض القيان، وكان من الشباب من يدمن عليها حتى تنفر قبيلته، وقد تخلعه لما يتدنى فيه من رذائل [1]. أما بالنسبة للقمار والميسر، كانت عادتهم فيه أن يذبحوا ناقة أو بعيرا، و يقسمون ما يذبحونه عشرة أجزاء، ثم يأتوا بأحد عشر قدحا، يجرون عليها قمارهم، وكانوا يجعلون لسبعة منها نصيبا إن فازت، وعلى أصحابها غرم إن خابت وأكبرها نصيبا يسمى المعلّي، أما الأربعة الباقية، فلاحظ لها حتى إن فازت كما كان ينتشر في الجاهلية وأد البنات وقتل الأولاد خشية الفقر (الإملاق) فأكبر من كانوا يضعون ذلك هم أحلاف قساة القلوب.[2]

ب -الحرب في العصر الجاهلي:

لعل أهم ما يميز حياة العرب في الجاهلية، أنها كانت حياة حربية تقوم على سفك الدماء حتى أصبح سنة من سننهم، فهم دائما قاتلون مقتولون،لا يفرغون من دم إلى دم ولذلك كان أكبر قانون عندهم يخضع له كبيرهم وصغيرهم هو قانون الأخذ بالثأر فهو شريعتهم المقدسة ، وهى شريعة تصبغ عندهم بما يشبه الصبغة الدينية إذ كانوا يحرّمون على أنفسهم الخمر والنساء والطيب حتى يثاروا من عدوهم، ولم يكن لأي فرد من أفراد القبيلة حق ولا بشبه الحق في نقض هده الشريعة، ولا في الوقوف ضدها أو الخروج عليها ،فما هي إلا أن يقتل أحد منهم،وتتبعها العشائر الأخرى المحاذية تؤازرها في الأخذ بثأرها.[3]

(1) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص 70.

(2) المرجع نفسه: ص 71.

(3) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1119، ص 62.

وأكثر حروبهم سببها نزاع بين بعض الأفراد في قبيلتين مختلفتين إما بسبب إهانة أو بسبب اختلاف على حدّ من الحدود وحينئذ تشتبك عشيرتا هؤلاء الأفراد وتنظم إلى كل عشيرة عشائر قبيلتها وقد تنظم أحلافهما فتنتشر نيران الحرب بين قبائل كثيرة.[1]

وكان أهل الجاهلية يسمون حروبهم ووقائعهم أياما لأنهم كانوا يتحاربون نهارا فإذا جاء الليل أوقفوا القتال حتى يطلع الصباح.[2]

وتسمى هده الأيام والحروب غالبا بأسماء البقاع والآبار التي نشبت بجانبها مثل يوم عين أباغ وكان بين المنادرة والغساسنة، ومثل يوم شعب جبلة وكان بين عبس وأحلافها من بني عامر ودبيان و أحلافها من تميم وقد تسمى بأسمائها أحدث اشتعالها مثل حرب البسوس وحرب داحس والغبراء وقد نشبت حرب البسوس بين قبيلتي بكر وثعلب في أواخر القرن الخامس ميلادي وكان سببها اعتداء كليب سيد ثعلب–وكان قد طغى واشتد بغيه–على ناقة البسوس خالة حسان بن مرة سيدا بني بكر، إذ رمى ضرعها بسهم فاختلط لبنها بدمها.[3]

ولما علم حسان بما حدث ثار لكرامته وسنحت له فرصة قتل كليب ودارت رمى حرب طاحنة ظلت أربعين سنة،فكثرت أيامها مثل يوم عنيزة وكان سجالا بين الطرفين وكان لتغلب على بكر قصة تحالف وفيه انتصرت بكر ولما أنهكت الحرب الفريقين لجأ إلى الحارث بن عمر والكندي فأصلح بينهما وأقام على بكر ابنه شر قبيل وعلى تغلب ابنه سلمه، وتمت في العصور الإسلامية أساطير حول هده الحرب وبطلها الثعلبي المهلهل أخو كليب ،وألقت عنه قصة شعبية باسم الزير سالم ، وأما داحس والغبراء فكانت في أواخر العصر الجاهلي، وكان السبب في نشوبها سباقا على رهان بين الفرسين

(1) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ، ص 63.

(2) المرجع نفسه: ص 64.

(3) المرجع نفسه: ص 65.

فسمت باسمها. وكان قد أجراهما سيدا عبس ودبيان : قيس بن زهير وحذيفة بن بدر وأوشك داحس أن يفوز، غير أن رجلا من دبيان كان قد كمن له، فاعترضه ونفره فعدل عن الطريق وبذلك سبقته الغبراء وأبى قيس أن يعترف بهذا السباق وطلب الرهان المطلوب، وحدث صداما بين الفريقين فلم تلبث الحرب أن اندلعت على إثره، وظلت سنوات، حتى تدخل سيدان من دبيان هما هرم بن سنان، والحارث بن عوف فتحملا ديات القتلى وبذلك وضعت الحرب أوزارها بين القبيلتين.[1]

ج- الزواج في العصر الجاهلي:

كانت المعاملة الزوجية والزواج في الجاهلية يقوم على عدة أنكحه ومن الأنكحة التي كانت مشهورة في الجاهلية نجد: [2]

أولا/ الإستبضاع: كان الرجل في الجاهلية إذا أراد أن يكون له ولد نجيب أو شجاع طلب من زوجته أن تذهب إلى من اشتهر بذلك لتستبضع منه، فإذا باضعها وعلقت منه اعتزلها زوجها حتى يبين حملها من ذلك الرجل، فإذا ولدت نسب الولد إلى زوجها.

ثانيا/ المضامدة: وتقوم على معاشرة المرأة لغير زوجها، وكانت تلجأ إليها نساء الجماعات الفقيرة زمن القحط، حيث أن الرجال يدفعن بنسائهن إلى رجال أغنياء في المواسم التي تعقد فيها الأسواق.

ثالثا/ المخادعة: لغة المصاحبة، وفي الجاهلية كانت تطلق على معاشرة رهط من الرجال لامرأة واحدة، فإذا حملت ووضعت أرسلت إليهم، فتقول هو ابنك يا فلان، وتسمي من أحبت باسمه.

---

(1)شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ص 66.

(2) عبد السلام الترمانيني: الزواج عند العرب في الجاهلية و الإسلام، ط، 80، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت، 1998، ص ص 18-19.

رابعا/ البغاء: يطلق البغاء على زنا المرأة، أما إذا كان بغير أجر ولم تدع الحاجة إليه، فهو الزنا وكان تعاطي البغاء في الجاهلية مقصورا على الإماء المجلوبات من بلاد أخرى أو المولدات، وكان تجار الرقيق يدفعون إماءهم دفعا لتعاطي البغاء ويفرضون على كل منهن ضريبة تؤديها إليهم من كسبها وسعيها.

خامسا/ نكاح الضيزن أو وراثة النكاح: كان الرجل إذا مات وترك زوجته وكان له أولاد من غيرها، ورث نكاحها أكبر أولاده في جملة ما يرث من مال أبيه، فإذا أعرض عنها انتقل حقه إلى الذي يليه، فتصبح زوجة لمن وقعت في نصيبه من أولاد زوجها من غير مهر ولا عقد وإذا لم يكن للميت ولد يرث نكاحها، انتقل الحق إلى أقرب أقرباء الميت.

سادسا/ نكاح الشغار: هو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته، على أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته، ليس بينهما مهر، فيقول أحدهما للآخر: زوجني ابنتك أو أختك، على أن أزوجك ابنتي أو أختي.

سابعا/ نكاح البدل أو تبادل الزوجات: كان الرجل يقول للرجل انزل لي عن امرأتك أنزل لك عن امرأتي، أو بادلني بامرأتك أبادلك بامرأتي.

ثامنا/ الزنا: الزنا هو وطء الرجل امرأة لا تحل له بقصد الاستمتاع ويسمى سفاحا لأنه بمنزلة الماء المسفوح بلا حرمة، ويعتبر الزنا من أقدم الظواهر الاجتماعية التي رافقت البشرية.

تاسعا/ الزواج المؤقت أو زواج المتعة: والأصل في الزواج أن يكون غير محدد بمدة،و لو أن من الممكن حل عقدته بالطلاق أو بموت أحد الزوجين، غير أنه يعقد لمدة محددة فيكون موقوتا، وتحل عقدته بانتهاء المدة المتفق عليها بين الطرفين، كان هذا النوع

من الزواج معروفا في الجاهلية وكان غالبا ما يعقده التجار في أسفارهم والغزاة في غزواتهم ويسمى زواج المتعة.

وهكذا كانت المعاملة الزوجية في الجاهلية منحطة، كما كانت المرأة والزواج مهملان لا قيمة لهما.

د- الديانات في العصر الجاهلي:

كانت ديانات العرب في الجاهلية وثنية يؤمن بقوى إلاهية كثيرة، تظهر في الكواكب ومظاهر الطبيعة، وقد آمنوا بقوى خفية كثيرة في بعض النباتات والجمادات والطير والحيوان ولم يكن العرب موحدين، فقد كانوا يشركون مع الله آلهة أخرى كما جاء في القرآن الكريم،وكانوا يتعبدون الأصنام وأوثانا كثيرة اتخذوها رمزا لآلهتهم، كما يظهر أن عبادة النجوم والكواكب دخلت عندهم من قديم وقد جاءتهم من الصائبة وبقية الكلدانيين كما جاءتهم من لذن عرب الجنوب وقد كانت عبادة الأصنام منتشرة بينهم انتشارا واسعا وقد صوروها أو نحتوها رمزا لآلهتهم، وقد يرون في بعض الأحجار والأشجار والآبار ما يرمز إليهم[(1)] وكانت عبادة اللات أو الشمس شائعة بين العرب الجنوبيين وفي الحجاز وكان معبدها في الطائف، وكانوا يتخذون عند هياكل هذه الأصنام والأوثان أنصابا من حجارة يصبون عليها دماء الذبائح التي يتقربون بها إلى آلهتهم، وكانوا يقدمون هذه الأنصاب ويعدّونها مقرا لبعض الأرواح، وهناك فرق بين الصنم والوثن، فالصنم يكون غالبا تمثالا لأصنامهم، أما الوثن فيكون غالبا حجرا، وقد سمي الصنم بالوثن، وقد اتخذوا عدّة بيوت لأصنامهم، وقد كانت منها كعبات كبيرة يحجون إليها ككعبة ذي الخلصة وهي الكعبة اليمانية، وكعبة الطائف وهي بيت صنمهم اللاّت، وأشهر كعباتهم كعبة مكة حارسة الوثنية في الجاهلية، فقد كانوا يطوفون بها أسبوعيا.[(2)]

---

(1) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، ط24، 2003، ج1، ص 89.
(2) المرجع نفسه، ص ص 90-91.

وكانت لهم قوانين في الحج، فقد جعلوا للحج أربعة أشهر معلومات، سموها الأشهر الحُرُم، وكانت هذه الأشهر حراما عندهم، فلا يستباح دمٌ، وا تنشب حروب، وكانت هناك جماعات تقوم على سدانة بيوتهم المقدّسة، ويسمونها الحجابَة، وكانت في مكة لبني عبد الدّار، وبجانب هؤلاء السدانة كُمّان يدّعون معرفة الغيب، وكانوا كذلك يؤمنون بالأرواح وأنها تحلّ في كل ما حولهم من مظاهر الطبيعة، وكان منها أرواح خيرة هي الملائكة وأرواح شريرة هي الشياطين، كما كانوا ينكرون الرّسل، ولا يؤمنون لا ببعث ولا نشور.[1]

كما كانت منتشرة في العصر الجاهلي الديانة اليهودية والنصرانية، فاليهودية كانت منتشرة في اليمن والحجاز، وقد استطاع يهود اليمن في أوائل العصر الجاهلي أو في أوائل القرن السادس الميلادي أن يؤثروا في ملك من ملوك التبابعة هود و نُوَّاس وأن يدخلوه في دينهمْ، وقد دفعوه دفعا إلى التنكيل بنصارى نجران وتحريفهم وقد انتشرت النصرانية في اليمن وشمالي الجزيرة الغربي والشرقي، وكان من أهم أسباب انتشارها بعثات دينية كان يشجعها القياصرة ثم انتشرت في نجران وقد اعتنقها الأحباش، كما اعتنقها الكثيرون، وبنيت لها الكنائس، ومن أشهر كنائسها كنيسة نجران، ونفدت النصرانية أيضا إلى عرب العراق، إلى ثعلب وإياد وبكر، وتغلغلت في الحيرة على الرغم من ملوكها الوثنيين فقد كان يعتنقها العباديّون، وكان للنصرانيين تأثير في الكثير من الشعراء، وكان لهم دور في ظهور جماعات المتحنفين، وتسرب فكرة البعث والحساب [2]

ملاحظة:

كانت هذه هي الديانات المنتشرة في الجاهلية، وقد أصاب هذه الديانات الانحلال فالمشركون مثلا كانوا يدّعون أنهم على دين إبراهيم، فكانوا بعيدين عن أوامر ونواهي

(1) د شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص 97.
(2) المرجع نفسه: ص ص 101-102.

إبراهيم، مهملين ما أتت به من مكارم الأخلاق، فكثرت معاصيهم، ونشأ فيهم على توالي الزمان ما نشأ في الوثنيين من عادات وتقاليد تجري مجرى الخرافات الدّينية، وأثرت في الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية تأثيرا بالغا جدا.

أما اليهود فقد انقلبت رياء وتحكما، وصار رؤساؤها أربابا من دون الله يتحكمون في الناس ويحاسبونهم حتى على خطرات النفس وهمسات الشفاه، وجعلوا هَمَّهمْ الخطوة بالمال والرّياسة. وإن ضاع الذين وانتشر الإلحاد والكفر والتهاون بالتعاليم التي حضّ الله عليها وأمر كل فرد بتقديسها وأما النصرانية فقد عادت وثنية عسرة الفهم، وأوجدت خلطا عجيبا بين الله والإنسان، ولم يكن لها في نفوس العرب المتدينين بهذا الذّين تأثيرا حقيقي، لبعد تعاليمها عن طراز العيشة التي ألفوها، ولم يكونوا يستطيعون الابتعاد عنها وأما سائر أديان العرب فكانت أحوال أهلها كأحوال المشركين، فقد تشابهت قلوبهم وتواردت عقائدهم، وتوافقت تقاليدهم وعوائدهُمْ.

2.1. في الشعر الجاهلي:

لا ينكر أحد أن أهل الجاهلية كانت فيهم دنايا، ورذائل، وينكرها العقل السليم ويأباها الوجدان، ولكن كانت فيهم من الأخلاق المحمودة ما يروع الإنسان، ويفضي به إلى الدهشة والعجب، وقد صورها شعراء ذلك العصر، ومن تلك الأخلاق نجد:

1)**الكرم:** فكانوا يتبارون في ذلك، ويفتخرون به، وقد استنفدوا فيه نصف أشعارهم، بين ممتدح به ومثن على غيره، كان الرجل يأتيه الضيف في شدة البرد، والجوع، وليس عنده المال إلا ناقته التي حياته، وحياة أسرته فتأخذه هزة الكرم فيقوم إليها ويذبحها لضيفه، ومن آثار كرمه أنه كانوا يتحملون الديانات الهائلة والحمالات المدهشة، ويكفون بذلك سفك الدماء، وضياع الإنسان ويمتدحون بها، مفتخرين على غيرهم من الرؤساء والسادات . [1]

يقول عنترة بن شداد :

وإني لأحمي الجارَ منْ كلّ ذلة *** وأَفرَحُ بالضَّيفِ المُقيمِ وأَبهجُ [2]

في هذا البيت يتحدث عنترة عن الجار وعن حمايته له ويصف لنا الفرح الشديد الذي يحس به عند زيارة الضيف له وبهجته به، فيسعى إلى تقديم كل ما يملك له.

وكان من نتاج كرمهم أنهم كانوا يمتدحون بشرب الخمور، لا لأنها مفخرة في ذاتها، بل لأنها سبيل من سبل الكرم، ومما يسهل الرف على النفس، ولأجل ذلك كانوا يسمون العنب بالكرم وخمرة بنت الكرم ومن نتائج كرمهم اشتغالهم بالميسر فإنهم كانوا يرون أنه سبيل من سبل الكرم، لأنهم يطعمون المساكين ما ربحوه من عملهم. [3]

([1]) صفى الرحمن: المبار الكفوري: الرحيق المختوم ، ص 29.

([2]) عنترة بن شداد : الديوان ، دار صادر بيروت، لبنان، 1998م، ص 19.

([3]) صفى الرحمان المبار الكفوري: الرحيق المختوم، ص 30.

ولذلك نرى القرآن لا ينكر نفع الخمر والميسر وإنما يقول:﴿ **وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**﴾. [1]

* ومن تلك الأخلاق أيضا الوفاء بالعهد: فقد كان العهد عندهم دينا يتمسكون به ويقتلون في سبيله أولادهم، وتخريب ديارهم ومثال ذلك قصة هانئ بن مسعود الشيباني والسموأل بن عادي وحاجب بن زرارة التميمي وفي ذلك **يقول: زهير بن أبي سلمى:**

وَمَنْ يُوفِ لا يُذْهَمُ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ *** إِلَى مُطْمَئِنِ البَرِ لَا يَتَجَمْجَمُ الوَفَاءُ [2]

من خلال هذا البيت لزهير بن أبي سلمى نفهم أن الوفاء من الصفات الحميدة ومن يتحلى بها يكون مطمئن القلب، والبال وينال البر والثواب من الله سبحانه وتعالى.

* ومنها كذلك: عزة النفس، وكان من نتائجها سرعة الانفعال فكانوا لا يسمعون كلمة يشمون منها رائحة الذل والهوان إلا قاموا إلى السيف والسنان، وأثاروا الحروب العوان، وكانوا لا يبالون بتضحية أنفسهم في سبيل ذلك. [3]

يقول عنترة بن شداد:

دَعُونِي فِي القِتَالِ أَمُتْ عَزِيزًا *** فَمَوْتُ العِزِّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي [4]

يدور معنى البيت في عزة النفس التي يتحلى بها عنترة بن شداد أثناء القتال من الحروب فيختار أن يموت عزيزا على أن يموت ذليلا لأن موت العز خير من الحياة بدون فائدة.

* كما توجد هناك الشجاعة والمضي في العزائم: فإن عزموا على شيء يرون فيه المجد والافتخار، ولا يصرفهم عنه صارف بل كانوا يخاطرون بأنفسهم في سبيله.

يقول عنترة بن شداد:

وَكَيْفَ أَخْشَى مِنَ الأَيّامِ نائِبَةً *** وَالدَّهْرُ أَهْوَنُ مَا عِنْدِي نَوائِبُهُ

([1]) سورة البقرة: الآية 219.

([2]) زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص 19.

([3]) صفى الرحمان المبار الكفوري: الرحيق المختوم، ص 30.

([4]) عنترة بن شداد: الديوان، ص 15.

كم ليلةٍ سرتُ في البيداءِ منفرداً *** والليْلُ للغَرْبِ قدْ مالت كوَاكبُهُ

سيفي أنيسي ورمحي كلّما نهمتْ *** وَالدّهْرُ أهْونُ مَا عِنْدي نَوائبُهُ

في هذه الأبيات نفهم أن عنترة بن شداد لا يخاف من الموت والصعب عنده سهل فكان لا يخاف المشي في الصحراء بمفرده وحتى بعد غروب الشمس، فكان أنيسه سيفه ورمحه يستعملها في محاربة الوحوش.

* ومن القيم الأخلاقية أيضا في الشعر الجاهلي نجد: الحلم والأناة والتؤدة، كانوا يمتدحون بها لأنها كانت فيهم عزيزة الوجود لفرط شجاعتهم، وسرعة إقدامهم على القتال. (1)

* ومنها كذلك الإخلاص: يقول عنترة بن شداد في هذا الصدد:

مَنْ يَكُنْ عَبْدَ قَوْمٍ لا يُخَالِفُهُمْ *** إِذَا جَفَوْهُ وَيَسْتَرْضِي إِذَا عَتَبُوا

قَدْ كُنْتُ فِيمَا مَضَى أَرْعَى جِمَالَهُمْ *** وَاليَوْمَ أَحْمِي حِمَاهُمْ كُلَّمَا نُكِبُوا (2)

نفهم من خلال بيتي عنترة بن شداد العبسي أن الإنسان إذا كان مخلصا في قومه من خلال حمايته لجمالهم وحماهم ينال رضى قومهم، ويسلم من عتابهم له ويفتخرون به.

* كما نجد عنترة بن شداد في صفة الكرامة يقول:

وَإِنِّي اليَوْمَ أَحْمِي عِرْضَ قَوْمِي *** وَأَنْصِرُ آلَ عَبْسٍ عَلَى العُدَاةِ (3)

في هذا البيت يتحدث عنترة بن شداد عن الكرامة من خلال حمايته لعرضه وعرض قومه ونصره لهم أثناء الحروب والقتال من العداة الظالم.

* بالإضافة إلى كل هذه نجد صفة الحياء في بيت آخر لعنترة بن شداد إذ يقول فيه:

فَلاَ اَلْمَالَ يُنْسِينِي حَيَائِي وَعِفَّتِي *** وَلاَ وَاقِعَاتُ الدَّهْرِ يَفْلُلْنَ مِبْرَدِيْ (4)

---

(1) صفى الرحمان المبار الكفوري: الرحيق المختوم، ص 30.

(2) عنترة بن شداد: الديوان، ص 9.

(3) المصدر نفسه، ص 16.

(4) المصدر نفسه، ص 82.

عنترة بن شداد في هذا البيت يبين لنا أن المال لا ينسيه حياءه ولا ما أخفاه له الدهر من أحزان وآلام.

رغم أن أهل الجاهلية قد انتشرت بينهم عدة صفات سيئة إلا أنهم قد تميزوا بعدة قيم وأخلاق فاضلة استحقت أن يكتب عنها الشعراء بفخر واعتزاز.

1.3. القيم الأخلاقية في شعر حسان الجاهلي:

لو تطرقنا إلى شعر حسان الجاهلي لوجدنا فيه عدة قيم جاهلية إذ يقول في إحدى قصائده الفخرية نلمح صفة الكرم في قوله:

رُبَّ خَالٍ لِي لَوْ أَبْصَرْتَهُ *** سِبطَ الكَفَّينِ فِي اليَوْمِ الخَصِرْ [1]

هذا البيت مأخوذ من قصيدة لحسان بن ثابت بعنوان "**سلوا عنا**" وفيها يفتخر بصفة الكرم التي يتحلى بها خاله فكان يسعى دوما إلى مساندة ومساعدة الغير في الضيق والشدائد من خلال قوله: "سبط الكفين" و"اليوم الخصر"

* كما يقول حسان بن ثابت في نفس القصيدة:

يُوقِدُ النّارَ، إذا ما أَطْفِئَتْ *** يُعْمِلُ القِدْرَ بأَثْبَاجِ الجُزُرْ

في هذا البيت نستشف صفة التواضع التي كان يتصف بها خال حسان بن ثابت من خلال القيام ببعض الأعمال والاعتماد على نفسه بدل الاعتماد على غيره ويظهر ذلك جليا من خلال قوله: "يُوقِدُ النَّارَ"، "يُعْمِلُ القِدْرَ"

* كما كان هناك صفتي الصدق والصبر في نفس القصيدة من خلال قوله:

صبر للموت إن حل بنا *** صادقوا البأس غطاريف فخر [2]

من خلال هذا البيت تظهر صفتي الصدق والصبر بوضوح التي كان يتحلى بها أهل قبيلته فقد كانوا صابرون في الموت من خلال قوله "صبر للموت" وصادقون في الشدائد من خلال قوله " صادقوا البأس" وقد قال حسان بن ثابت أيضا في بعض أشعاره:

([1]) حسان بن ثابت: الديوان، ص 123.

([2]) المصدر نفسه، ص 16.

نسودُ ذا المالِ القليلِ، إذا بدتْ * مــروءتهُ فينا، وإن كانَ مـــــعدما**

وإنّا لنَقري الضّيفَ، إن جاء طارِقاً ***من الشحم،ما أمسى صَحيحاً مسلَّما (1)

من خلال هذين البيتين نلمح صفتين اثنتين امتاز بهما حسان بن ثابت والتي تتمثل في المروءة والكرم فقبيلته تفضل سيدا لها ولو كان قليل المال، المهم أن يكون ذا مروءة، كم أن أهل القبيلة مشهورون بالكرم فهم يطعمون الضيف من خير الطعام وجيده.

وفي صفة الشجاعة يقول حسان بن ثابت:

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بِالضُحى *** وَأَسيافُنا يَقطُرنَ مِن نَجــدَةٍ دَما

وَلَدنا بَنـي العَنقاءِ وَابنـي مُحَـــــرِّقٍ *** فَأَكرِم بِنا خالاً وَأَكرِم بِذا ابنَما (2)

حسان بن ثابت في البيتين يفتخر بشجاعة أهل قبيلته الذين يحاربون بقوة دون خوف، فيلقنون كل شخص بحسب عمله والجزاء من جنس العمل.

إن القيم الأخلاقية التي ذكرها حسان بن ثابت في الجاهلية كانت في الغالب موجهة لقومه وملوك الغساسنة، إذ كان يمتاز بالعصبية القبلية فما ن يتعرض أحد لقبيلته، أو أي شيء له حتى ينبري للدفاع عنه بشعره وسيفه فيشيد بالمناقب، وهذا ما جعل الفخر يغلب على شعره الجاهلي.

---

(1) حسان بن ثابت: الديوان، ص 266.

(2) حسان بن ثابت: الديوان، ص 266.

القيم الأخلاقية في الإسلام :

1.2.القيم الأخلاقية في المجتمع الإسلامي:

تعد الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالخصال الحميدة مبدءا جوهريا من مبادئ الإسلام وتعاليمه، فقد أحاط الإسلام المجتمع بمنظومة من القيم الخلقية ووضع للأخلاق قواعد يتم على أساسها تربية النفس وتهذيبها ومن القيم الأخلاقية التي نادى بها الإسلام:

1)**الأمانة:**

هي من أهم عناصر العقيدة الإسلامية، ذلك أن الإسلام أمر بآدائها ورعايتها وحذّر من خيانتها.فقال تعالى: " **إِنَّ الله يَأْمُرُكم إلى أهلها و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعم يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا**" [1]

و قال: " **و الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**" [2].

2)**العدل والحق:**

أقر الإسلام العدل والحق حفظا للكيان البشري وحذّر من الظلم وأمر بالعدل خاصا وعاما، فقال تعالى "إن الله يأمركم بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون" [3] أمر الإسلام والقرآن أمر عام دون تخصيص نوع دون آخر، ولا طائفة دون طائفة لأن العدل نظام الله وقد شرعه في الناس جميعا قال تعالى: " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن

([1]) سورة النساء، الآية 58.

([2]) سورة المؤمنون، الآية 8.

(3) سورة الأنعام، الآية 152.

الله قوي عزيز" [1] وقد أمر الله بإقامة العدل أمرا عزما بما كرر في كتابه من الآيات الآمرة بإقامة العدل المحذرة من مخالفته [2] قال تعالى: ﴿ ***يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خبيرا***﴾ [3]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق وأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، للعدل من القرآن الكريم صور كثيرة منها العدل في الزوجات، وفي الوثائق والديون، والقضاء، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي هذا قال تعالى: ﴿ ***وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ***﴾ [4]

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أول خطبة خطبها بعد أن ولى الخلافة يقول: " أيها الناس قد وليت عليكم، ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني،الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه والقوي ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله تعالى"[5]

وقد أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري عندما بعثه قاضيا على الكوفة فقال: "أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة. فافهم إذا أدلى إليك

---

(1) سورة الحديد: الآية 25.

(2) الدكتور إسماعيل سامعي:معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر،2007 ، ص 48.

(3) سورة النساء،: الآية 135.

(4) رواه البخاري ، و مسلم و الترميدي، و النسائي ، و أحمدا و مالك.

(5) الدكتور إسماعيل السامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص 49.

فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاد له. و أسال الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من أدى، واليمين على من أنكر والصلاح جائز بين الناس، إلا صلحا أحل لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق لا يبطله شيء،واعلم أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل" [1]

3)التسامح الديني:

التسامح الديني إحدى ميزات العقيدة الإسلامية [2] وقد أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلام بالصفح، والتسامح في أكثر من موضع في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ ***فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ*** **فسوف يعلمون** ﴾ [3] وقال: ﴿ ***وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا*** **وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [4]

4)السلم والأمن:

بنى الإسلام سياسته في قيام الدولة وسعادة المجتمع وبناء الحضارة على السلم والأمن، فالسلم هو الحالة الأصلية التي تهيئ للتعارف، وإشاعة الخير بين الناس عامة،ويأبى الإسلام أن يتخذ الإكراه طريقا للدعوة، ونشر تعاليمه " لو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"

أما الأمن فهو يتحقق دائما بعد إقامة السلم وتتعدد ألوانه فهناك الأمن السياسي،والأمن الاقتصادي، والأمن الاجتماعي، والأمن الثقافي والروحي والأمن الغذائي،وقد أشار القرآن إلى السياسي والاقتصادي والغذائي عندما خاطب أهل قريش قائلا: " فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف"[5]

---

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها

([2])الدكتور إسماعيل السامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص 49

([3]) سورة الزخرف، الآية: 89.

([4]) سورة التغابن، الآية: 14.

([5]) سورة قريش الآيتين: 3،4.

5)المساواة:

هو عنصر هام في معادلة الأخوة ضمن تشكيلة المجتمع وأحد عناصر التقويم الحضاري العربي الإسلامي ذلك أن المساواة هي أثر من آثار الأخوة المفروضة بين المسلمين، وهي أيضا أصل عظيم من أصول نظام المجتمع الإسلامي [1] . وهكذا فإن الإسلام ينشد المساواة، وهو مختلف عن الأمم التي سادت الأرض قبل ظهور الإسلام مثل الفرس واليونان والروم، فقد كانوا يجعلون الأمة أربعة طبقات سادة وأوساط وللمساواة من الإسلام مظاهر هي كالآتي:

أولا/ في العقائد:

قال تعالى: قولوا آمنا بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون"[2].

حيث أن عقيدة التوحيد واحدة تجسد وحدانية الله سبحانه وتعالى والإسلام يدعوا إلى احترام العقائد، وينهى عن مضايقة غير المسلم في عقيدته ومبادئه التي يؤمن بها وماله،وبذالك يضمن حرية المعتقد.

ثانيا/ في العبادات:

فالإسلام يحترم طقوس الأديان، ومعابدها، وعدم المساس بها.قال تعالى "الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع، وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز" [3] وفي وصية أبي بكر رضي الله عنه لقواده نهى عن

([1])الدكتور إسماعيل السامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص 50.

([2]) سورة البقرة، الآية: 136.

([3]) سورة الحج، الآية: 40.

التعرض للصوامع فقال: ﴿ ***وستجدون أقواما ترهبوا في صوامعهم فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له***﴾ [1].

ثالثا/ في المعاملات:

حث الإسلام على احترام الذميين وأموالهم، وحمايتهم حتى لو كان مال الذمي حرام،فقد منع الإسلام الخمر وصنعه وبيعه وكذا لحم الخنزير إلا أنه أوجب حماية مال اليتامى خاصة إذا تعلق الأمر بالذمي. [2]

رابعا/ الحرية وحقوق الإنسان: إن لفظ الحرية وما اشتق منها يفيد معنى مضاد لمعنى الرق والعبودية، وهو لفظ حديث يراد منه معنى عمل الإنسان ما يقدر على عمله حسب مشيئته لا يصرفه عن عمله أمر غيره وهذا اللفظ يقابل في العربية الانطلاق أو الانخلاع من التقيد وقد استعمل لفظ الحرية بمعنى حقوق الإنسان، أو الحق ضد الباطل.

وحقوق الإنسان مبادئ أساسية ارتكزت وترتكز عليها الدولة الإسلامية، وقد وضع الرّسول (ص) هذا المبدأ موضعا عمليا إثر الانتصار على قريش في غزوة فتح مكة حيث قال لقريش المغلوبة في مواجهتها في كبريائها وتقاليدها قولته المشهورة ذات البعد الإنساني "اذهبوا فأنتم الطلقاء" لقد هزم الإسلام فيهم جاهليتهم، ولكنه لم يشأ أن يهزم فيهم عقولهم،ومظاهر الحرية في الإسلام وفي المجتمع الإسلامي تعددت وتنوعت نذكر منها ما يأتي[3]:

أ/ حرية البشر: قال تعالى:" ما كان لبشر أن يؤتيه الله الحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون"[4] فالبشرية بين الناس جميعا على وجه المماثلة التي هي أهم من المشابهة وبهذا لا يدع الإسلام سبيلا إلى أن يكون لبشر حق استرقاق بشر مثله، وإنما العبودية لله

([1]) الدكتور إسماعيل السامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص 51.

([2]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

([3]) الدكتور إسماعيل السامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص 52.

([4]) سورة آل عمران، الآية: 79.

وحده وليس لأحد، كما أسقط الإسلام التفاضل بين الأفراد، والشعوب بغير التقوى والعمل الصالح،قال تعالى: ﴿ ***يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.*** ﴾ [1]

ب/ حرية العقيدة: ضمن الإسلام حرية العقيدة بحكم القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ ***لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سميع عَلِيمٌ*** ﴾ [2] كما أن الإسلام يرفض أي نوع من السيطرة والحد من حرية الاعتقاد حتى سيطرت الرسل قال تعالى: ﴿ ***فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر*** ﴾ [3]

العقل والرأي: لا يمكن أن تمارس حرية العقيدة بمعزل عن حرية العقل والرأي وحرية العقل والرأي ليست مقيدة بشروط غير شروط العقل والشرع، فالإنسان بفطرته دائم التساؤل [4]، وفي قصة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عبرة، وتأكيد على حرية الرأي فيروى أن عمر بن الخطاب نهى عن المغالاة في مهور النساء، وقرر أن ما زاد عن خمسة وعشرين درهما أخذ ورد إلى بيت المال، فخرجت إليه امرأة من صف النساء تقول بأعلى صوتها على مسمع الجماعة في المسجد: ليس لك هذا يا عمر؟ فلم يزجرها بل وقف فسألها و لما؟ قالت: لأن الله يقول: " وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا" فرجع عمر إلى منبره وقال كلمته المشهورة التي بقيت ملء سمع الزمان: " أصابت امرأة وأخطأ عمر "[5]

([1]) سورة الحجرات، الآية: 13.

([2]) سورة البقرة الآية: 256.

([3]) سورة الغاشية، الآية: 22.

([4])الدكتور إسماعيل السامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص 53.

([5]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

د/ حرية الإرادة: الإسلام يكفل حرية الإرادة قال تعالى: ﴿ ***وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى وَأَنّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى*** ﴾ [1]

هـ/ حرية التنقل والإقامة:

الإسلام يضمن حرية التنقل والإقامة، ولم يحدد شروطا لذلك سوى ما تتطلبه الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية التي تحكم المجتمعات فالأرض ملك لله وهي واسعة عنده، وهي لعباده جميعا[2]. قال تعالى: " إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فألئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا" [3] فيربط الله حرية التنقل والإقامة في الأرض بعبادته، والنصب أي العمل قال تعالى: ﴿ ***فَإِذَا قُضِيَتِ الصّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ*** **وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيرًا لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [4]

و/ حرية المرأة:

حرية المرأة كفلها الإسلام حين ساواها بالرجل في النفس والحياة والكرامة[5]

ز/ حرية الطفل وحقوقه:

يكثر الحديث اليوم عن حرية الطفل وحقوقه، بل ذهبت الأمم المتحدة في شأن هذه الحرية وهاته الحقوق بتخصيص سنة كاملة من أجل تحسيس الإنسانية بأهمية هذه الحرية والحقوق في تنشئة طفل اليوم رجل الغد، وصاحب الشريعة الإسلامية سيدنا محمد (ص) جعل حق العناية بالطفل من أوكد الواجبات تكاد تساوي العبادة شكلا [6] ففي صحيح

([1]) سورة النجم، الآيات: 39، 40، 41.

([2]) الدكتور إسماعيل السامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص 53.

([3]) سورة النساء، الآية: 97.

([4]) سورة الجمعة الآية: 10

([5]) الدكتور إسماعيل السامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ص 54.

([6]) المرجع نفسه، ص 55.

البخاري ورد عن النبي (ص) عن أبي قتادة قال: " خرج علينا النبي (ص) وأمامه بنت أبي العاص على عاتقه فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها"[1]

كما أن الرسول (ص) حث على تعليم الأبناء فقال: "علموا أولادكم السباحة والرماية"[2] وهي سنة تطور وطبيعة الحياة، وقد أصبحت هذه الحرية، والحقوق أوكد واجبات الآباء،والمجتمع الإسلامي، لذلك تحمل الآباء تعليم أبنائهم لاسيما في المرحلة الأولى(الابتدائي)، أما المرحلة الثانية (العالي) فقد تحملها المجتمع ومؤسسات دولته قصد تفريغ الطفل للتحصيل العلمي، وقد كان للتلميذ والطالب الحرية والحق في التعليم متى شاء وأين شاء، وحسب مقدرته وموهبته، ومن احترام حرية وحقوق الطفل في الإسلام فإن النبي (ص) ضرب أروع الأمثلة العملية لأمته، وللناس جميعا في ذلك، فمما يروى عنه أنه (ص) أوتي بقدح ماء فقال: "يا غلام أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ (الشيوخ) قال – الطفل: ما منت لأثر بفضلي منك أحد يا رسول الله فأعطاه إياه [3] وقد أوصى (ص) فقال: ﴿ ***أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ , وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ*** ﴾ [4] وقال: " لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم"[5] ومن هنا نعرف أن للطفل حرية وحقوق ضمنتها الشريعة الإسلامية، وجسدتها حضارتها، وستبقى كذلك إلى يوم الدين.

6)الالتزام:

يصعب الحديث عن الالتزام في المفهوم الإسلامي دون الإشارة إلى الآية الكريمة:

وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225)وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ

([1]) رواه البخاري

([2]) رواه البخاري

([3]) رواه البخاري في صحيحه، كتاب السقاة رقم: 2180

([4]) رواه ابن ماجة، سنن، باب الأدب رقم: 3661

([5]) رواه ابن داود، سنن، باب الصلاة رقم: 418

بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ [1].هذه الآيات حددت مفهوم الالتزام بوضوح الشعر في مجموعه مرتبط بالغواية والضلال والخيال والكذب ولذلك قال العرب (أجود الشعر أكذبه) ولعل هذه الخاصية في الشعر هي التي جعلت (جان بول سارتر) يقرر صعوبته بل استحالته في الشعر لأنه مرتبط بالحقائق ولا يهدف الشعر إلى عرض هذه الحقائق، كما أنهم لا يستخدمون اللغة كما يستخدمها النثر [2]

والالتزام في المفهوم الإسلامي يقوم على الصدق والإخلاص وترسيخ القيم الخيرة والمثل العليا دون قسر خارجي أو توجيه. والالتزام الذي طلبه الإسلام ينبع من عفوية الأديب وقدراته الإبداعية و عقيدته التي ينفد منها إلى الأمكنة والمساحات في العالم، ولابد لهذا الالتزام أن يكون التزاما مرنا دالا فإنه هو الذي ينقل العمل الأدبي والجدار الذي يقف أمام الإبداع [3]

والشاعر الملتزم كالأديب الملتزم هو الذي يقدم للناس عملا إيجابيا نافعا يعالج مشكلاتهم ويتصل بحياتهم ويعبر عن همومهم بأصالة وإبداع تعكس تجارب الناس في وجدانه وأصداء الحياة في نفسه لأن الالتزام في المفهوم الإسلامي كالينبوع الذي لا ينضب وكنور الشمس والقمر الذين لا يكفان عن إرسال النور وكالأرض الخصبة التي لا تقف عن بعث الحياة والجمال على سطح الأرض وهذا الالتزام لا يتحقق إلا إذا كان الأديب ملتزم بعقيدته فكرا وسلوكا ومشاعر وإحساسا صادقا مع نفسه[4]

والأدب الإنساني – والشعر منه– ارتبط في حياة البشرية بعقيدتها ومقدساتها فقد ارتبط الشعر اليوناني في بداياته بالطقوس الدينية والأغاني المقدسة المفعمة بالثناء على الإله وكذلك الأدب الروماني والآداب اللاتينية كما ارتبط الشعر العربي في الجاهلية

([1]) الشعراء، الآيات: 224-227

([2]) عباس محجوب: الأدب الإسلامي، قضاياه المفاهيمية و النقدية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006، ص 123.

([3]) عباس محجوب: الأدب الإسلامي، قضاياه المفاهيمية و النقدية، المرجع السابق، ص 125.

([4]) المرجع نفسه، ص 127.

بالقوى الغيبية كالجن والشياطين وارتبط بالكهانة والسحر مما يدل على أن المعتقد الذي يؤمن به البشر كان دائما مصدر الإبداع الأدبي في كل أمة والأدباء دائما ملتزمون بعقائدهم فيعتمدون عليها [1] والالتزام موقف نابع من العقيدة يقوم بالدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الشاعر وهو يتطلب الصراحة والوضوح والإخلاص والصدق والالتزام في الأدب الإسلامي لا يقاس بالمقاييس التي وضعتها المذاهب المادية الأخرى بل لابد أــن ينبع من العقيدة أولا ومن شرع الله عموما بل لابد أن ينسجم الأديب المسلم مع نفسه وحقيقته وكل أديب أو شاعر مطالب بالصدق مع نفسه ومع عقيدته[2]

و لهذا يعتبر الالتزام من القيم الأخلاقية التي نادى بها الإسلام وعليه يجب على كل شاعر أو أديب التحلي بها لأنها من صفة حسنة يستحسن المحافظة عليها.

7)القناعة:

ومن القيم الخلقية البارزة أيضا قيمة القناعة، والرضا بما قسم الله من الرزق، وقد كانت في مصادر الشريعة الإسلامية مثل القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وحتى في الأقوال المأثورة المنتشرة بكثرة، ومن بينها المقولة المشهورة: "القناعة كنز لا يفنى" وهي انعكاس لأحداث المجتمع، وتقلباته الاجتماعية، والسياسية. وهي تعني بساطة العيش والرضا، والقبول بما رزقه الله، وهي تصدر عن الإنسان اختيارا وطوعا، وترتبط بحساب الآخرة، فخفيف الأموال في الدنيا ثقيل الأجر، والثواب، والميزان في الآخرة فإذا حضي الإنسان بحاجاته الأساسية فهو يشعر بأنه ملك الدنيا وما فيها فيشعر براحة نفسية عدم أهانتها بالتدلل أمام أبواب الأغنياء بل يتوجه إلى الله عز وجل في طلب الرزق وبذلك يكون غنى النفس ورضاها بما قسم الله لها من الرزق ولذلك يجب على كل مؤمن أن

([1])عباس محجوب: الأدب الإسلامي ، قضاياه المفاهيمية و النقدية، ص 128.

([2]) المرجع نفسه، ص 129.

يرضى بما رزقه الله ويتحلى بالفضائل الإسلامية، والتمسك بالمثل العليا ويحض الجميع على القناعة والرضا والقبول بما رزقه الله و النفور والابتعاد عن الطمع والجشع[1].

8) الزهد:

هو قيمة إسلامية خالصة يستمد أصوله من مفاهيم الإسلام ومبادئه وهو في معناه اللغوي فهو ضد الرغبة، والزهيد هو القليل الحقير أما في المعنى الإسلامي الاصطلاحي الشامل فهو يعني الاتجاه إلى الله وعدم الاشتغال بالدنيا، والانقطاع عن الشهوات، ونهي النفس عن الهوى والقناعة والغنى، والاكتفاء بالحاجة والعودة إلى منابع الدين الحنيف والتحلي بأخلاقه[2].

إن المتأمل في المعنيين: اللغوي والاصطلاحي للزهد يتبين له أن جزء كبير من الزهد يتعلق بالأخلاق الإسلامية وأن هناك علاقة وطيدة بينهما. فالزهد يعد أحد العوامل التي تقوي إرادة الإنسان، وتمنحه الثقة بالنفس والأمل بالمستقبل وقد اعتمد عليه الإسلام في سعيه إلى تهذيب السلوك الإنساني، وتربية النفس الإنسانية على القيم العليا والمثل السامية التي يدعوا إليها الإسلام ويحث المسلمين على التحلي بها[3]

تعد القيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام والتي تدعوه إلى ترك متاع الدنيا، وتحض الناس والمؤمنين على الانصراف إلى العبادة لان تقوى الله هي الأداة الوحيدة التي تسعى إلى تطهير النفوس بما هو جيد وحسن، وتخليصها من كل ما هو شيء.

والمتحلي بهذه القيم سينال الصلاح وتقوى الله والفوز بالدار الآخرة ونعيمها الدائم بدلا من دار الدنيا ونعيمها الزائل، والفاني.

([1]) عباس محجوب: الأدب الإسلامي، قضاياه المفاهيمية و النقدية، ص 131.

([2]) المرجع نفسه، ص 133.

([3]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها

2.2. القيم الأخلاقية في الشعر الإسلامي:

لو تطرقنا إلى الشعر الإسلامي لوجدنا فيه مجموعة من القيم الأخلاقية التي تناولها شعراء صدر الإسلام بقوة ومن بين هؤلاء الشعراء نجد الشاعر كعب بن زهير الذي يتحدث عن مجموعة من القيم الأخلاقية في عدة قصائد له.

* ففي صفة الوفاء يقول كعب بن زهير:

ليوفوا بما كانوا عليه تواثقوا *** بخيف منى والله راءٍ و سامعُ [1]

هذا البيت كتبه كعب بن زهير حين أسلم، وحسن إسلامه وصلح شأنه فركب إلى قومه يدعوهم إلى الدخول في الإسلام، والتحلي بالوفاء عند عقد الاتفاقات فيما بينهم لأن الله يرى ويسمع.

* وفي صفة المودة يقول كعب بن زهير:

وتوصل أرحام ويفوح معزم *** وترجع بالود القديم الرواجع [2]

كعب بن زهير هنا يدعو قومه إلى صلة الرحم والمودة وصفاء القلوب كي ينتشر السلام، والأمن والأمان بين أفراد قومه.

* كما قال كعب بن زهير في صفتي البر والتقوى:

سأدعوهم جهدي إلى البرّ والتّقى *** وأمرِ العلا ما شايعتني الأصابعُ [3]

هنا وفي هذا البيت نفهم أن كعب بن زهير عازم على نشر البر والتقوى بين أفراد قومه ويعدهم أنه سيبذل كل الجهد من أجل نشر صفتي البر والتقوى في قبيلته.

* وفي صفة الكرامة يقول الشاعر كعب بن زهير:

فنحن بنو الأشياخ قد تعلمونهُ *** نذَبّبُ عن أحسابنا وندافعُ

([1]) كعب بن زهير: الديوان، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، ص 50.

([2]) كعب بن زهير: الديوان، المصدر السابق، ص50.

([3]) المرجع نفسه، ص 50.

يشير كعب بن زهير في هذا البيت إلى أن الكرامة لها قيمة ومكانة عندهم ويثورون على كل من يمس كرامتهم وهذا من خلال قوله "تدبب عن أحسابنا"

* بالإضافة إلى ان كعب بن زهير كان كريما هو وقومه ونجد ذلك في قوله:

ونحبِس بالثغر المخوفِ محلُّه *** لِيُكْشَفَ كَرْبٌ أو لِيُطْعَمَ جائعُ [1]

تتجلى صفة الكرم في قول كعب بن زهير "ليطعم جائع"، كما نلمح في هذا البيت صفة العون والمساعدة لصاحب الكربة والمأزق ونجد ذلك في قوله: "ليكشف كرب"

* وقال كعب بن زهير في صفة الحلم:

هل حبلُ رملةَ قبلَ البَينِ مبتــورُ *** أم أنت بالحِلمِ بعدَ الجهلِ معذورُ [2]

هذا البيت قاله كعب بن زهير وهو يمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيذكر صفة الحلم التي كان يمتاز ويتصف بها علي أبي طالب.

* ثم ينتقل الشاعر إلى صفة أخرى ألا وهي صفة العدل فيقول:

بالعَدلِ قُمتَ أَميناً حينَ خالَفَهُ *** أَهلُ الهوَى وَذَوو الأهواء وَالزور

نلمح صفة العدل التي كانت في علي بن أبي طالب فهو كان عادلا وواقفا مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – عند مخالفة الأعداء له عند حكمهم بالزور.

* وبعدها ينتقل إلى صفة الشجاعة فيقول:

مُقاوِمٌ لِطُغاةِ الشرِكِ يَضرِبُهُم *** حَتّى اِستَقاموا وَدينُ اللَهِ مَنصورُ [3]

هذا البيت يدل على شجاعة علي بن أبي طالب الذي وقف أمام المشركين وقاوم الطغاة ليردهم إلى الطريق الصحيح وإتباع دين الله الذي أنزله على عباده، ونجد ذلك في قوله: "مقاوم لطغاة".

([1]) كعب بن زهير: الديوان ، ص 51.

([2]) المرجع نفسه، ص 128.

([3]) المرجع نفسه، ص 131.

نستنتج أن القيم الأخلاقية في الشعر الإسلامي كثيرة لا تعد ولا تحصى وهذا راجع إلى طبيعة المجتمع الإسلامي الذي كان يعتمد على القيم الأخلاقية بالدرجة الأولى.

3.2. القيم الأخلاقية في شعر حسان الإسلامي:

إن حسان بن ثابت شاعر مخضرم، فكما عاش الجاهلية عاش الإسلام، وكان في شعره الإسلامي عدة قيم أخلاقية منها:

1) الصبر والصدق: والصبر هو نصف الإيمان، والنصف الآخر شكر[1] قال تعالى: ﴿***يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ***﴾ [2]

وقال أيضا: ﴿***وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ***﴾ [3]

أما الصدق: فهو طمأنينة ومنجاة في الدنيا والآخرة [4] قال تعالى: ﴿***قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ***﴾ [5]

قال حسان بن ثابت:

رحم الله نـافع بن بـــديل *** رحمة المبتغي ثواب الجهاد

صابراً صادق الحديث إذا ما *** أكثر القوم قال قول السداد [6]

نستنتج من خلال هذين البيتين أن حسان بن ثابت في رثاءه لنافع بن بديل ذكر له خصلتين حميدتين امتاز بهما، ألا وهما الصبر والصدق وتضرع إلى الله أن يرحمه.

2) كما كان هناك الجود والعطاء والثقة حيث قال حسان بن ثابت:

تَسائلُ عَن قَومٍ هِجانٍ سَمَيدَعٍ *** لَدى الباسِ مِغرارِ الصَباحِ جَسورِ

([1]) موسى صاري، العلوم الإسلامية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2009، ص 24.

([2]) سورة آل عمران: الآية 200.

([3]) سورة العنكبوت: الآية 69.

([4]) موسى صاري، العلوم الإسلامية، المرجع السابق، ص 26.

([5]) سورة المائدة: الآية 119.

([6]) حسان بن ثابت: الديوان، ص 90.

أَخي ثِقَةٍ يَهتَزُّ لِلعُرفِ وَالنَدى *** بَعيدِ المَدى في النائِباتِ صَبورِ

فَقُلتُ لَها إِنَّ الشَهادَةَ راحَةٌ *** وَرِضوانُ رَبٍّ يا أُمامَ غَفورِ [1]

إذ نرى من خلال البيتين أن حسان بن ثابت يرثي حمزة بن عبد المطلب حين قدمت بنته أمامة المدينة تسأل عن قبر أبيها ومصرعه فأشار في البيتين إلى صفة الجود والثقة التي كان يمتاز بهما حمزة بن عبد المطلب.

3) الشجاعة: في هذه الصفة يقول حسان بن ثابت:

قتلنا أبا جهل وعتبة قبله *** وشيبة يكبو لليدين وللنحر

قتلنا سويدا ثم عتبة بعده *** وطعمة أيضا عند ثائرة القتر

فكم قد قتلنا من كريم مسودا *** له حسب في قومه نابه الذكر

تركناهموا للعاويات يتبنهم *** ويصلون نارا بعد حامية القعر [2]

في هذه الأبيات يتحدث حسان بن ثابت عن غزوة بدر الكبرى حين انتصروا على الأعداء وقتلوا أبا جهل وتركوهم للضباع تنهش عظامهم، وهنا تظهر شجاعة المسلمين وقوتهم أثناء الحروب والصراعات.

4) بالإضافة إلى القيم السابقة نجد صفة الوفاء حيث قال حسان بن ثابت:

أَلَمْ يَكُ فيكُمْ ذا بَلاءٍ وَمَصْدَقٍ *** وأوفاكمُ عهداً لدى كلّ مشهدِ

فَلاَ ظَفِرَتْ أَيْمَانُ قَوْمٍ تَظاهَرَتْ *** على قتلِ عثمانَ الرشيدِ المسددِ [3]

في هذه الأبيات يقوم حسان بن ثابت برثاء عثمان بن عفان ويشيد ببعض الخصال الحميدة التي كان يمتاز بها مثل الوفاء في قوله: "وأوفاكم عهدا"، ويشير إلى أن من قتل عثمان بن عفان أو حاول قتله فقد خاب عمله وإيمانه.

([1]) حسان بن ثابت: الديوان، ص 105.

([2]) المصدر نفسه، ص 106.

([3]) المصدر نفسه: ص 114.

نستنتج أن أغلب شعر حسان الإسلامي قد كتبه للدفاع عن الدين الجديد، فكان شعره سجلا لجميع الأحداث التي توالت على المسلمين وبالتالي كانت القيم الأخلاقية التي سجلت مدحا للصحابة ورجال الدّين الذين وقفوا للدفاع عنه بكل ما يملكون وعلى رأسهم صاحب الرسالة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم –

3.القيم الأخلاقية في قصيدة بطيبة رسم :

1.3. شرح القصيدة :

أبدع حسان بن ثابت قصيدة "بطيبة رسم" رثاء للنبي (ص) وحزنا على فقدانه: فبدأها بتقديم الجار والمجرور على المبتدأ بطيبة اهتماما منه بذكر المدينة الطاهرة التي ترك النبي (ص) منزله، وترك مسجده الذي يؤمه النَّاس وا يستغنون عن زيارته بين الحين و الآخر وقد تزول الديار ورسومها لكن آيات تلك الدار المقدسة التي بها منبر الرسول (ص) باقية تشهد بعظمة رسالة صاحبها عليه الصلاة والسلام، وكذلك موعد صلاة العيدين من جهة البقيع،والمسجد النبوي الشريف، وسر بقائها زمنا أطول من ديار بقية الناس أنها مأوى أفئدة المؤمنين فهي بقية في صدورهم ما بقيت، حيث اكتسبت الطهر والقدسية لإقامة النبي (ص) فيها، وليست القدسية فيها لذاتها كمواضع وكن لتذكيرها بصاحب الرسالة، ومما يدل على هذا المعنى أن بتلك المواضع حجرات النبي (ص) حيث كان يقيم، فيتنزل نور الله على رسوله الكريم، ويضيء على الناس بالأحكام السماوية وبذلك يظل لمعالم منزله صلى الله عليه وسلم أثر لن يمحى من نفوس المؤمنين، مهما أتاها من عوامل البلى، وستظل آيات الذكر الحكيم التي نزلت على ساكن الدار خالدة متجددة تذكر بتلك المعالم.

يقول حسان بن ثابت: عرفت بطيبة رسم داره صلى الله عليه وسلم فذكرني بعهده الذي لا ينسى وشاهدت القبر الذي وري جثمانه في ترابه، فظللت أبكيه عليه الصلاة والسلام،وأسعفتني عيناي بالدموع مشاركة منها في مصابي وحزني، لقد تذكرت آلاء

الرسول (ص) على الخليقة فلا أرى نفسي تستطيع أن تحصيها، وإنما تقف حائرة متلبدة بسبب تفجعها بفقد أحمد الذي آلمها، فظلت تعدّد آلاءه و تثني عليه ولن تعطيه حقه مقارنة بنعمه وفظله، ولكن نفسي تظل تحمده (ص) وإن كانت مقصرة.

وبعد حديث حسان بن ثابت عن نفسه التي آلمها فقدان الرسول (ص)، وإقراره بأنها مقصرة عن تعداد فضله والثناء عليه بما هو أهله، يلتفت مخاطبا قبر الرسول (ص) فيقول: بوركت يا قبر الرسول بما ضممت من خير وبركة، وبوركت بلاد ثوى فيها الرّشيد المسدد الخطى من عند الله سبحانه، وبورك شق منك احتوى جثمانه الطاهر.

ثم يصف حسان بن ثابت: حال المسلمين، وهم يملئون جثمانه بالتراب وصفا حزينا ينبئ عن مدى تعلقهم به (ص)، فأيديهم تهيل التراب عليه امتثالا لأمر الله واقتداء بسنة رسوله في دفن الموتى، وإيمانا منهم بقضاء الله وقدره، بينما تذرف عيونهم الدموع انعكاسا لما في قلوبهم التي تفطرت كمدا وحسرة على وفاته، فقد دفنوا في التراب عقلا راجحا وعلما واسعا ورحمة مسداة لدى دفنهم جثمانه الطاهر، وعادوا مثقلين بالحزن لفقدهم نبيهم وقد وهنت ظهورهم وسواعدهم فلا يقوى أحدهم على حمل حزنه الذي أثقل به،عادوا يبكون من تبكيه السّموات والأرض في ذلك اليوم، ولم يطيقوا ما هم فيه من حزن.

إنه بموت النبي (ص) انقطع نزول الوحي عن المسلمين، وقد كان نوره (ص) يضيء كافة الأمكنة غورها ونجدها، وكان يهدي الناس إلى سبيل الله القويم ويدلهم على الطريق المستقيم،وينقذهم من الظلام إلى النور، ومن غياهب الكفر والضلال إلى رحاب الإيمان والرشاد، إنه إمام هداهم الحق بكل ما أوتي من قوة.

ومن صفاته (ص) العفو عن الزلات ورحابة الصدر عند وقوع الهنات فكان يقبل العذر ويصدق التوبة، كما يسهل عليه الصلاة والسلام أمورا عديدة على المسلمين

يقصرون فيما يجب عليهم إزاءها ويكشف غمها، وهذا فضل من عنده تعالى إذ أرسله الله رحمة للعالمين.

*فبينما المسلمون بنعمة الله ينعمون، وبينما الرسول (ص) بينهم، منار حق ودليل يقودهم إلى النهج المستقيم يعز عليه أن ينحرفوا عن هدى الله، ويحرص أن يظلوا في طريق الحق سائرين، فيعطف عليهم (ص) بعطفه وحنانه ويسهل أمورهم، وبينما هم على هذا الحال مقيمين، وفي ذلك النور مهتدين، إذ أصاب نورهم محمد (ص) سهم الموت القاتل فانتقل رسول الله (ص) إلى جوار ربه تبكيه الملائكة، وأمست مكة وما اتصل بها من البلاد الحرام موحشة بقاعها، لانقطاع ما عهدت من نزول الوحي على محمد أثناء حياته، لقد أقفرت لخلوها من نور النبي (ص)

*ثم يحوّل الحديث إلى عينه فيخاطبها قائلا:

أكثري من البكاء على الرسول (ص) عين ولا أعهد معك يجمد مدى الدّهر، ومالك لا تكثرين من البكاء على ذي النعمة الكاملة التي غمرت الناس شملتهم بفضلها؟ إذن جودي عليه بالدّموع وارفعي صوتك بالبكاء تعبيرا كارثية المصاب الذي لا يوجد مثله أبد الدّهر وما محمد (ص) ولن يفقد مثله حتى يوم القيام ولعا يكون في هذه الحياة، أعف وأوفى ذمّة وأقرب للعطاء مثله، وليس هناك من يفوقه نسبا وعراقة فهو ينتسب إلى أكرم أحياء قريش.

ثم يتناول حسان بن ثابت بعضا من صفاته النبوية التي ميّزت الله بها عن البشر فيقول: لقد تولى تربيته رب العالمين سبحانه وتعالى، فاكتملت شريعة الله التي أنزلتها على رسوله (ص) وهو خير من يقوم بحمل تلك الرسالة السماوية المباركة ويبلغها للمسلمين بكل صدق وأمانة، فإذا أشكل على المسلمين أمر من أمورهم ولم يجدوا من يرجعون إليه كان هو ملاذهم الوحيد وأبر مرجع لهم، فلا يحبس عنهم علمه الذي علمه الله ولا يكون

رأيه إلا عين الصواب بما هداه الله. ثم يقول حسان بن ثابت: أقول قولي هذا في الثناء على محمد (ص) ولا يوجد من يعيب ثنائي من الناس إلا فاقد العقل البعيد عن رحمة الله ورضوانه، ولا يكف حبي له عن ثنائه، لعلي بشفاعته أخلد في جنات الله النعيم، وغاية ما أرجوه أن أكون هناك بجوار المصطفى (ص)، وسأعمل من أجل تحقيق هذه الغاية وهذا الهدف.

2.3. القيم الأخلاقية في القصيدة "بطيبة رسم":

إن حسان بن ثابت أبدع قصيدة بطيبة رسم رثاء للنبي – صلى الله عليه وسلم– وفي رثائه له يذكر ويشيد بعدة خصال وقيم أخلاقية كان يتصف بها سيد الأنام محمد – صلى الله عليه وسلم– والتي تتمثل فيما يلي:

1/ العفو: كان – صلى الله عليه وسلم– عفوا عند المقدرة، وهي صفة أدبه الله بها فلم يزد – صلى الله عليه وسلم– في حياته على إسراف الجاهل إلا عفوا [1]

قالت عائشة – رضي الله عنها –: « ما خير رسول الله (ص) بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله به» [2]. وفي هذا يقول حسان بن ثابت في قصيدة "بطيبة رسم"

عَفُوٌّ عَنِ الزّلّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ وَإِنْ يُحْسِنُوا فَاللّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ [3]

في هذا البيت يبين لنا حسان بن ثابت أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– يتحلى بصفة العفو والتسامح وهذا ظاهر من خلال قوله "**عفو عن الزلات**" بالإضافة إلى انه كان من المحسنين في قوله "**وإن يحسنوا**".

2/ الكرم: كان – صلى الله عليه وسلم– يتميز بصفة الجود والكرم على ما يقادر قدره، كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر قال ابن عباس: « كان النبي – صلى الله عليه

([1]) صفى الرحمان المبار الكفوري: الرحيق المختوم، ص 344.

([2]) صحيح البخاري: 1/ 503.

([3]) حسان بن ثابت: الديوان، ص 55.

وسلم- أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فالرسول – صلى الله عليه وسلم- أجود بالخير من الريح المرسلة، وقال جابر ما سئل شيئا قط قال: لا» [1]

3/ الصدق: وقد ضرب لنا الرسول – صلى الله عليه وسلم- أحسن الأمثلة في الصدق، وقد اعترف له بذلك مجاوروه وأعداؤه[2] فقل تعالى:﴿ ***فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ*** ﴾ [3] فقد نزلت هذه الآية في أبي جهل وأتباعه عندما قالوا للرسول بأنهم لا يكذبونه.

قال حسان بن ثابت:

إمامٌ لَهمْ يهديهمُ الحقّ جاهداً *** معلمُ صدق، إنْ يطيعوهُ يسعدوا. [4]

في هذا البيت يبين لنا حسان بن ثابت أن الرسول (ص) هو الإمام الذي أوتي جوامع الكلم، وهو مدينة العلم، وفي ذلك يقول – صلى الله عليه وسلم- عن نفسه « أنا أفصح العرب قاطبة بيد أني من قريش»

4/ العلم: كان النبي – صلى الله عليه وسلم- يمتاز بفصاحة اللسان وبلاغة القول،وكان من ذلك بالمحل الأفضل وجزالة القول، وصحة المعاني وقلة التكلف حيث قال فيه حسان بن ثابت في القصيدة:

لقد غيّبوا حِلما وعلما ورحمة *** عشية علّوه الثرى لا يوسد [5]

في هذا البيت يبين لنا حسان بن ثابت أن الرسول – صلى الله عليه وسلم- كان قليل التكلف، كان يعلم ألسنة العرب فيخاطب كل قبيلة بلسانه ويحاورها بلغتها وهو الذي أحاط

([1]) صحيح البخاري: 1/ 502.

([2]) صفى الرحمان المبار الكفوري: الرحيق المختوم، ص 344.

([3]) سورة العنكبوت: الآية 33.

([4]) حسان بن ثابت: الديوان، ص 55.

([5]) المصدر نفسه: ص نفسها.

باللغة صوتا وصرفا ونحوا ودلالة ومعنى وهذه الصفة لا يمكن أن تتوفر في بشر مهما كان هذا البشر.

5/ **الشجاعة:** كانت من الصفات التي كان يتصف بها الرسول– صلى الله عليه وسلم– أيضا فكان أشجع الناس في المواقف الصعبة فقال عنه حسان بن ثابت في نفس القصيدة:

وأمنعَ ذروات، وأثبتَ فِي العلـــى *** دعائـــمَ عــزٍّ شاهقــاتٍ تشيــدُ [1]

هذا البيت كغيره من الأبيات السابقة الذي يبين لنا صفة حسنة يتحلى بها الرسول – صلى الله عليه وسلم– ألا وهي الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل.

6/ الوفاء: ذكر حسان بن ثابت صفة الوفاء في الرسول – صلى الله عليه وسلم–

أعــفّ وأوفَى ذمــةً بعــدَ ذمــةٍ *** وأقرب منه نائلا لا ينكد وأبذل [2]

دمج الشاعر في هذا البيت بين صفتين امتاز بهما الرسول – صلى الله عليه وسلم– وهما العفو والوفاء إذ قال فيه تعالى ﴿***وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ***﴾ وتحلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بصفتي العفو والوفاء وهو أعلى درجات الكرم في الرسول (ص).

7/ وفي صفة الرحمة يقول حسان بن ثابت:

عطوفٌ عليهمْ، لا يثني جناحهُ *** إلى كَنَفٍ يَحْنو عليهم وَيَمْهِدُ [3]

في هذا البيت يبين لنا حسان بن ثابت أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– كانت رحمته واسعة تشمل الكبير والصغير، الفقير والغني، الضعيف والقوي...

([1]) حسان بن ثابت: الديوان، ص 55.

([2]) المصدر نفسه: ص 56.

([3]) المصدر نفسه: ص 55.

نستنتج مما سبق أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– حقا بأخلاقه إنسان عظيم تعتز وتفتخر به البشرية جمعاء ولنا حقا الشرف العظيم أن كنا أمته فهو الذي ييسر العسر والشديد.

خلاصة الفصل:

كان للإسلام حق فضل على البشرية، فقد قضى على الكثير من القيم والعادات السيئة التي كانت منتشرة في الجاهلية، وذلك في العديد من الميادين والمجالات، فمثلا في العبادة كنت تعبد الكثير من الآلهة التي لا تنفع ولا تضر، فأصبح يعبد إله واحد، ألا وهو الله جلّ شأنه، أمّا بالنسبة للمرأة والزواج، وهو النكاح الشرعي القائم على الخطبة والمهر والعقد، ورفع قيمة المرأة ومنزلتها، حيث قرّر الإسلام تساوي الذكر بالأنثى في إنسانيتهما وكافة أمور العبادة، ولم يعتبر الإسلام المرأة مصدر الشرور ومنع وأدها، أمّا بالنسبة للأم فإن النبي (ص) قدّم حق الأم على حق الأب فاعتبرها أحق العالمين بحسن صحبة الابن وأولى الناس ببره وإحسانه كما أن الإسلام جعل العلاقة الزوجية سلسلة متبادلة من الحقوق والواجبات، قائمة على مبدأ الأخذ والعطاء، والعشرة بالمعروف حال الحبّ والكراهية، كذلك حرّم الإسلام الكثير من الفواحش ما كبر منها وما صغر كالتجارة والخمر والقمار، كما نرى كذلك أنّ الشعر الإسلامي يحتوي على عدّة قيم أخلاقية: من أمانة، عدل، تسامح، سلم وأمن...الخ.

فكذلك الشعر الجاهلي يحتوي على عدّة قيم أخلاقية كالوفاء، المودة، البر والتقوى...الخ، ومن هنا نجد أهل الجاهلية اتصفوا وتميزوا بعدّة صفات أثارت الإعجاب إلى جانب الصفات السيئة التي كانوا يتصفون بها.

حاولنا من خلال الدراسة إبراز أهم القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي والإسلامي قصيدة"بطيبة رسم" لحسان بن ثابت، ومن أهم استنتاجاتنا في هذه الدراسة:

1.القيمة تعني مجموعة من الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة.

-الأخلاق تعني الذين والطبع والتحلي بالفضائل وممارسة أعمال الخير وترك الشر.

-الجاهلية هي العادات والتقاليد التي كانت منتشرة قبل ظهور الدين الإسلامي وأغلبها كانت عادات سيئة .

-الإسلام هو توحيد الله من خلال تطبيق أوامره واجتناب نواهيه.

2.إن حسان بن ثابت حقا يمثل العصرين الجاهلي والإسلامي أدبيا وتاريخيا بفضل إبداعه في الشعر وأسلوبه المتميز ورجاحة عقله وحبه للرسول (ص) والدفاع عنه بإخلاص حتى نال مرتبة عالية ألا وهي شاعر الرسول(ص).

3.شهد المجتمع الجاهلي انتشار عدة أخلاق فاسدة في مختلف الجوانب مثل: التجارة، الحرب، الزواج، الدين.

-إن الشعر الجاهلي الذي مثله حسان بن ثابت في شعره يحتوي على الكثير من القيم الأخلاقية المحببة، وهذا انعكاس للبيئة الجاهلية التي احتوت على أخلاق فاسدة وبالمقابل أخلاق حسنة.

4.بعد مجيء الإسلام قضى على الكثير من الأخلاق الفاسدة التي كانت منتشرة في الجاهلية واستبدلها بقيم فاضلة لأن أول مبد أيقوم عليه الدين الإسلامي هو الأخلاق وما يحتويه من قيم.

-الشعر الإسلامي هو الأخلاق، وشعر حسان بن ثابت خصوصا يحتوي على الكثير من القيم الأخلاقية الفاضلة، وهذا انعكاس للمجتمع الإسلامي الذي قضى على الأخلاق السيئة، وحثنا على التحلي بالأخلاق التي تنفعنا في ديننا ودنيانا.

5.إن حسان بن ثابت ما نظم قصيدة "بطيبة رسم" إلا إعجابا به صلى الله عليه وسلم من ناحية، وأسفا على فقدانه (ص) من ناحية أخرى فقد كان الرسول (ص) مصدر خير وبركة على المؤمنين جميعا.

-اتصف الرسول صلى الله عليه وسلم بعدة أخلاق فاضلة من رحمة، وفاء صدق...الخ، أثارت إعجاب حسان بن ثابت فكتب عنها تحت عنوان "بطيبة رسم"مخفيا ألما عميقا لفقدانه صلى الله عليه وسلم سيد الأنام، ولولا هذه الأخلاق لما استطاع أن ينشر الدين الإسلامي، وما استطاع أن يبلغ الرسالة.

أ. القرآن الكريم.

ب. المصادر:

1. حسان بن ثابت: الديوان، تح : عبد الله منرة، دار المعرفة، بيروت، لبنان ط1، 2002 م.

ج. المراجع:

1. ابن عبد ربه: العقد الفريد، تح: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، ج2، ط1 ، 1952م.

2. ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت، ط2. (د ت).

3. أبو الفضل : جمال الدين بن منظور: لسان العرب، تح : خالد رشيد، ج 11 بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ ، 2006م.

4. أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط10، 1969م.

5. أحمد مختار عمر: اللغة العربية المعاصرة، ج 1، عالم الكتب، القاهرة، ط 1 (د ت).

6. إسماعيل سامعي: معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر،2007 م.

7. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، دار الجيل بيروت، ط1، 1986م.

8. سنن ابن داود ، باب الصلاة رقم: 418.

9. سنن ابن ماجة، باب الأدب رقم: 3661.

10. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ج 1، دار المعارف القاهرة، ط 24، 2003م.

11. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، ج 1، دار المعارف القاهرة، ط20 ، (د.ت) .

12. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، 1119، ط1.

13. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ط 1، دار المعارف القاهرة ، (د.ت) .

14. صحيح البخاري: 1/ 502.

15. صحيح البخاري: 1/ 503.

16. صفى الرحمان المبار الكفوري: الرحيق المختوم، د ط،(د .ت).

17. طراد الكبيس: مدخل في النقد الأدبي، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان الأردن، (د ط)، 2007 م.

18. عباس محجوب: الأدب الإسلامي، قضاياه المفاهيمية و النقدية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006م.

19. عبد السلام الترمانيني: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، ط 80 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م.

20. عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، (د. ت).

21. عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، دار العرف، مصر،(د ط) ، 1408هـ.

22. عمر بوشموخة: الإبداع في الفن الأدبي ، منشورات أبيك، متيجه، الجزائر (د ط)، 2007م.

23. عنترة بن شداد: الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1998م.

24. فائز الترحيني: الإسلام والشعر، دار الفكر، لبنان، (د ط)، (د ت).

25. كعب بن زهير: الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1 (د ت).

26. مقداد يالجن: التربية الأخلاقية الإسلامية، عالم الكتب، الرياض، ط 1 (1412هـ- 1992م).

27. منقذ بن محمود السقار: تعرف على الإسلام، دار تيدكلت للنشر ،(د ط) (د ت).

28. موسى صاري : العلوم الإسلامية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر،(د ط)، 2009م.

د- المعاجم:

1. ابن منظور (جمال الدين بن مكرم): لسان العرب، ج 1، دار المعارف، القاهرة ط1، (د ت) .
2. بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام ، دار صادر ، بيروت لبنان، ط6، (د ت).
3. الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 (د ت).
4. الزمخشري (جار الله): أساس البلاغة، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 (د ت) .
5. عزيزة فوال بابتي: معجم الشعراء المخضرمين الأمويين، دار صادر ، لبنان ط1، (د ت).
6. مجمع اللغة العربية المعاصرة بالقاهرة: المعجم الوسيط، ج 1، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، (د ت).
7. مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، ج 1، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ط4، (د ت) .

الفهـــــــــــرس

الصفحة

- مـــــقدمة 02

الفصل الأول

ضبط المصطلحات

1. القيمة 05
أ -لغة 05
ب -اصطلاحا 05
2. الأخلاق 08
أ -لغة 08
ب -اصطلاحا 13
3. الجاهلية 14
4. الإسلام 17
أ -لغة 17
ب -اصطلاحا 21
5. حسان بن ثابت حياته وشعره 24
1.5. نبذة عن حياته 24
2.5. ديوان حسان بن ثابت 26
3.5. الأغراض الشعرية لديوان حسان بن ثابت 29
4.5. أسلوب حسان بن ثابت في الجاهلية والاسلام..... 31
خاتمة الفصل 34

الفصل الثاني

القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي والاسلامي

1. القيم الأخلاقية في الجاهلية 37
1.1. القيم الأخلاقية في المجتمع الجاهلي 37
2.1. القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي 46

3.1. القيم الأخلاقية في شعر حسان بن ثابت الجاهلي 49
2. القيم الأخلاقية في الإسلام 51
1.2. القيم الأخلاقية في المجتمع الاسلامي 51
2.2. القيم الأخلاقية في الشعر الإسلامي 62
3.2. القيم الخلاقية في شعر حسان الإسلامي 64
3. القيم الأخلاقية في قصيدة بـــطيبة رسم 66
1.3. شرح القصيدة 66
2.3. القيم الأخلاقية في قصيدة بطيبة رسم 69
خاتمة الفصل 73
خـــــاتمة 75
قائمة المصادر والمراجع .
الفهرس.